

رِسَالَتِي فِي

إِهْدَاءِ الثَّوَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

وَمَعَهَا : مَسَائِلُ فِي إِهْدَاءِ الْقُرْبَاتِ لِلْأَمْوَاتِ

رِسَالَتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

بتحقيق وتعليق

أبي محمد الشرف بن عبد القادر

أضواء السلف



الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار أضيواء السلف
للنشر والتوزيع



الرياض - الربوة - الدائري الرفي - مجمع ١٥ ص ١٢١٨٩٢
البريد ١١٧١١ ت ٤٥-٢٣٢١٠ جوال ٥٠٥٢٨٠٣٢٨

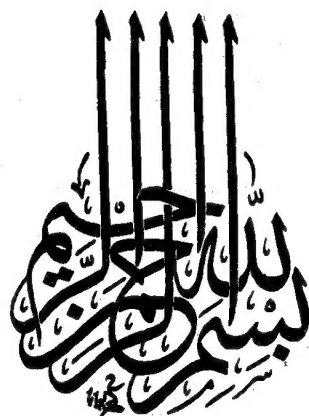


رَسَّالَتِي فِي

إِهْدَاءِ الثَّوَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

وَمَجْمَعًا: مَسَائِلَ فِي إِهْدَاءِ الْقُرْبَاتِ لِلْأَمْوَاتِ

رَسَّالَتِي فِي قَوْلِي تَعَالَى: وَإِنْ لَيْسَ لَنَا بُنْيَانٌ إِلَّا مَا يَعْمَلُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ ، الْمُتَفَضِّلِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْعَطَايَا وَمُحَسِّنِ الثَّوَابِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، الْقَائِلِ سُبْحَانَهُ فِي تَنْزِيلِ الْكِتَابِ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وأشهد أن مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، دَلِيلُنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَمُرْشِدُنَا لما يُبْعَدُ عَنِ الْإِثْمِ وَالْعِقَابِ ، الْقَائِلِ ﷺ : « إِنَّ مِمَّا يُلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لَابِنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يُلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » (١) ؛ ذِكْرُهُ وَذِكْرُى لِأُولَى الْأَلْبَابِ .

أما بعد : فهذه رسالة نفيسة فريدة في بابها تُنَشَرُ لأول مرة ، فَصَّلَ فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الْقَوْلُ فِي مَسْأَلَةِ إِهْدَاءِ ثَوَابِ

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٢) وابن خزيمة (٣٤٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الألباني في « أحكام الجنائز » ص (٢٢٤) : « بإسناد حسن » .

الأعمال والقُرْبَات للنبي ﷺ حيث خُلصَ ﷺ في هذه المسألة إلى القول ببدعة ذلك ، وأن الإهداء المذكور لم يكن من هدي السلف الصَّالح ولا تابعيهم بإحسان ، وذكر أن أهل الإهداء المذكور قد يجمعون بين الشُّرك والغلو والبدعة ، وأنهم على أقل تقدير إن خَلصوا من الشرك والغلو فلن يَخْلُصوا من البدعة (١) .

ولم يقتصر على هذه المسألة بل بينَ مسألة مهمة أخرى وهي : إهداء ثواب الأعمال إلى غير النبي ﷺ من الأموات ، فذكر نزاع العلماء في ذلك ، وتفريقهم بين العبادات المالية والعبادات البدنية مبيِّناً هدي السلف في ذلك إلى غير ذلك من الفوائد والأحكام .

* ولتمام الفائدة أُلْحَقْتُ بها أربعاً من المسائل التي أجاب عنها شيخ الإسلام بجواب مختصر يشتمل على كثير من الفوائد في مسائل إهداء القربات للنبي ﷺ وللأموات ؛ تُنَشَّرُ لأول مرة أيضاً .

* وزيادة في الفائدة : أُلْحَقْتُ بهذه الرسالة المباركة أيضاً رسالة أخرى لشيخ الإسلام لها علاقة بنفس الموضوع في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ كانت قد طُبِعَتْ مِنْ قَبْلُ فَأَعَدْتُ تحقيقها على نسخة خطية .

❖ وَالْحَقِيقَةُ نُسِبَةُ الْكِتَابِ لِلْمُصَنِّفِ :

* فقد ذكر هذه الرسالة ابن رُشيق^(١) بعنوان : « رسالة في إهداء الثواب للنبي ﷺ » .

والناظر في كلام شيخ الإسلام على هذه المسألة في مواضع أخرى من كتبه يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك صِحَّةَ نِسْبَتِهَا لَهُ^(٢).

وقد أشار رَحِمَهُ اللهُ إِلَى هذه الرسالة عند كلامه باختصار على نفس المسألة ؛ حيث يقول : « وقد بَسَطْنَا الجواب في الإهداء للنبي ﷺ في جواب كبير ، ويثبِّتُ أنه ليس بِمَشْرُوع ، وذكرنا مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ من الْحِكْمِ وَالْمَعَانِي »^(٣) . وهذا الجواب الكبير هو كتابنا هذا .

* وقد لَخَّصَ طرفاً منها العلامة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن أسباسلار البعلبي المتوفى ٧٧٧هـ^(٤) في « مختصر الفتاوى المصرية »^(٥) .

(١) « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام - ضمن جامع سيرة شيخ الإسلام » ص (٢٤٤) .

(٢) راجع : « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٢٧ / ١٤٨ ، ٤٤٩ ، ٣١ ، ٤١ ، ٥١) .

(٣) راجع مسألة (٢) ملحق « مسائل في إهداء القربات للأموات » ص (١٣٣) .

(٤) ترجمته في : « الجواهر المنضدة » (١٤٤) و « الدر المنضد » للعليمي (٢ / ٥٥٨) و « المنهج

الأحمد » (٥ / ١٤٦) و « السحب الوابلة » (١٠١٦) و « شذرات الذهب » (٦ / ٢٥٤)

والدرر الكامنة » (٤ / ٨٤) .

(٥) « مختصر الفتاوى المصرية » ص (١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦) .

ونقل عبارات كاملة منه العلامة علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس بن فتيان البعلي الدمشقي المتوفى سنة ٨٠٣ هـ^(١) في « الاختيارات الفقهية »^(٢) .

* أما رسالته في الكلام على قوله سبحانه : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ فقد ذكرها أيضًا ابن رُشيق^(٣) بعنوان : « رسالة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ » .

❖ وَضِيفَ الشَّيْخُ الْخَطِيبُ

* فقد اعتمدت في تحقيقي لرسالة « إهداء الثواب للنبي ﷺ » على نسخة تقع ضمن الجزء الثاني من « الفتاوى المصرية » والمحفوظ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ١٤٠٢ .
وتقع هذه النسخة في ١٧ ورقة تقريبًا (و١٧٧ - ظ ١٩٤) كل ورقة بها ١٩ سطرًا . وهي مكتوبة بخط نسخ ، وتم نسخها في خامس شهر جمادى سنة ٧٤٢ هـ ببلبك .

(١) ترجمته في : « المقصد الأرشد » (٢ / ٢٣٧) و « الجوهر المنضد » (٨١) و « الدر المنضد » للعليمي (٢ / ٥٩٦) و « المنهج الاحمد » (٥ / ١٩٠) و « معجم المؤلفين » (٢ / ٥١٠) .

(٢) « الاختيارات الفقهية » ص (٩٢) .

(٣) « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام - ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام » ص (٢٤٤) .

والناسخ لها هو : أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن عبد الغني بن أبي بكر بن القاسم البجلي عفا الله عنه ، كما جاء بآخرها .

* أما المسائل الأربع في إهداء القربات للنبي ﷺ وللأموات :
فالأولى : جوابٌ مختصرٌ لنفس مسألة إهداء الثواب للنبي ﷺ . وهي تقع ضمن الورقة ٤٨ ضمن مجموع لشيخ الإسلام برقم ٥٤ بمركز المخطوطات بجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت^(١) وهذه النسخة قُوبلت على العلامة ابن العماد الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ .

وأما المسائل الباقية : فأجوبةٌ مختصرةٌ في مسائل إهداء القربات للأموات وهي تقع في نفس مجموع المحمودية السابق وهذا بيانها :

الثانية : من ورقة (١٤٦) إلى ورقة (١٤٧) .

الثالثة : من ورقة (١٤٨) إلى ورقة (١٤٨ ظ) .

الرابعة : من ورقة (١٥٠) إلى ورقة (١٥١) .

* أما الرسالة في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ فهي تقع ضمن مجموع المحمودية أيضًا من ورقة (١٧١) إلى ورقة (١٧٣ ظ) ، وكانت قد طُبِعَتْ من قبل ضمن « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٣٠٦) ولذا جعلت المطبوعة كنسخة ثانية

(١) شاكرين للشيخ محمد الشيباني مدير المركز تسهيله لنا تصوير هذه النسخة فجزاه الله خيرًا .

❖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي تَحْقِيقِ الْبَيِّنَاتِ :

- * قمت بتحقيق النص معتمداً على النسخ الخطية سألقة الذكر وصوّبت ما فيها من أخطاء بالاستفادة من كلام شيخ الإسلام في مواضع أخرى من كتبه وبدلالة السياق .
 - * قُمْتُ بضبط فقرات الشرح كلها ، ونسّقت عباراتها ، ورقّمت فقراتها برقم مُسلسل ؛ تسهيلا للفهم والقراءة .
 - * ثم وضعت للشرح عناوين جانبية للفقرات ، ولم أجعلها في صلب المتن حتى لا تختلط بكلام المصنف .
 - * كما قمت بعزو الآيات ووضع العزو بجوارها ، وخرجت أحاديثه وآثاره وبينت مرتبتها من حيث القبول والرد .
 - * كما وَضَعْتُ بعض التعليقات المهمة ، وغير ذلك .
 - * كما صنعت له فهرس للآيات والأحاديث والآثار والموضوعات .
- هذا وقد اجتهدت في ذلك حَسَبَ الوسع والطاقة ، والله تعالى أسأل المزيّد من فضله ونعمه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوَكِيل .

لِلْمُحَرِّرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الإسماعيلية في ١١ محرم ١٤٤٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذَا لَمْ نَكُن لَكَ
بِشْيَاخٍ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ

سورة الحشر : ١٠

صُورُ الْمَخْطُوطَاتِ

قال تعالى اليس الله بكاف عبده وقال تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
 من المؤمنين ايا الله كافيكم وكافي المؤمنين المفسرين الذين افوض اليه السلف ومن
 نظر ان معناه ان الله والمؤمنين يكونون قد غلط غلطا عظيما من وجوه كثيرة في
 اللغة والتفسير والمعنى كما قد تبسط في غير هذا الموضع وهذه القواعد كلها مبسوطة
 في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان لا يشتر ان يجعل الله نديها يختص به
 من العباد او التوكل من البدعة ان يعبد الله بعبادة لم يدل علمها دليل
 شرعي ومن الغلو ان يرفع المخلوق الى درجة الخالق واصل الاسلام مني على اصلي
 ان لا يعبد الا الله وحده لا شريك له ولا يعبد الا ما شرع لا يعبد بالبدعة
 كما قال الفضيل بن عياض في قوله لبيد لم ايكلم احسن عملا قال اخلصه واصوبه
 قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل
 واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله
 والصواب ان يكون على السنة فهذه العبادات التي فيها شرك وغلو لم تثبت
 بدليل شرعي لا هي خالصة ولا هي متوافقة السنة فهي منهي عنها من هذين الوجهين
 وهو لا الذي ابتدعوا هذه العبادات التي هي لله عليه وسلم مجتمع فيهم هذا
 وهذا وان اخلصوا من الشرك والغلو لم اخلصوا عن الابتداع فان هذا علم مستدع
 لم يتم على استحبابه دليل شرعي وقد بينا فساد ما اخرج به من سوغه وانا
 لم نعلم احدا من القرون الثلاثة المفضلة فعل مثل هذا والاجتهاد الاجتهاد
 فاجاب قلبه اجران واذا اجتهد فخطا فله اجر لكن اذا تهم الخبيث وجب
 اتباعه والله اعلم **حسبك الله** ما هو لقا الله سبحانه الذي
 وصف بظنه الخاشعين بقوله تعالى الذين يظنون انهم ملائكة وهم وامن بعله
 المتقين في قوله تعالى واسمعوا لله واسمعوا لادملائق وبشر بالاقراءه عند

٤٨

وخبيرتم حيث حذروا عن اللام ونهوا عنه وذموا الهد وعابوه وعلم ان من اتبعني
الهدى رغب الى الكباب والسنة لا يزهو الا بقدا ٥ فبسم الله العظيم ان يهدينا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وحسبنا
الله ونعم الوكيل ٥

الحمد لله

الحمد لله المولى المحمود

مراد الله على الجبهة والكرامه

رب العالمين وصلواته

على محمد وآله الطاهرين

والله وسبحه

اجمعي

الحمد لله المولى المحمود
مراد الله على الجبهة والكرامه
رب العالمين وصلواته
على محمد وآله الطاهرين
والله وسبحه

سأله في رجل قرأ القرآن وقال هذا الهدية مني للنبي صلى الله عليه وسلم فما يجوز هذا
ام لا وهل هو محتاج اليها حتى تصلي عليه او تسلم عليه الحوا — كتبه الاسلام في المدن شرابه
المحمد لم يكون من عمل السلفا بهم يصلون ويعصمون ويقراون ويهدون فقلت صلى الله عليه
وسلم كنك كمالا يكونوا يتبعون منه ويستقون عنه وان ضلوا في كل شيء فليقلوا ان كانوا يفتعلوا
السلطان فله مثل اجر فعلهم من عثمان ينقص من اجورهم شيئا لما ثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه من عباده
ان ينقص ذلك من اجورهم شيئا عكاف الابوين فانه ليس كلما يفعل الولد لوالده
مثله وان كان الاب يتنفع بعمل ولده وامام صلاتا عليه وسلامنا عليه وطلبنا له الوسيلة
فهذا دعائنا لنا بيقيننا الله عليه ويستجيب هذا الدعاء في حق النبي صلى الله عليه وسلم
قريبه الله به من فضله وبثيب عليه الداعي والامنة له عليه بل الله المنة عليه وعلى
سائر الخلق وسائر الخلق محتاجون الى الله تعالى والامة محتاجون الى ما بعث الله تعالى
به يد به صلى الله عليه وسلم فانما هذا هم الله تعالى به والله اعلم ٥

من يهدي الى النار
النبي صلى الله عليه وسلم

٤٦

بأعمال مثل قراء القرآن وغيرها من الأعمال وذلك في البرزخ في القبر وفي عرش القبر
 فاما جري الأعمال بالأعمال فان كان معناه ان عبودهم على الصراط يكون بحسب عالم الصالحين
 فمنهم من يجزي كالبرق ومنهم من يجزي كالريح ومنهم من يسعي كالجوارح ومنهم من يسعي كالخيول ومنهم
 من يسعي كالأهليلج ومنهم من يعدوا ومنهم من يسعون في شتى ومنهم من يرفعون رجلا
 وذلك على قدر عالم الصالحين فعدا حق واما تصوير العمل لصاحبه على الصراط فهذا لم يبلغني
 فيه شيء والله أعلم **مسألة** فيما هو شائع بين الناس ان الله ملائكة نقاله يقولون
 من قبور المسلمين الى قبور اليهود والنصارى ولذلك يقولون من قبورهم الى قبور
 المسلمين هل ورد في ذلك خبر أم لا **الجواب** الحمد لله اما الأجساد
 فانها لا ينقل من القبور ولكن يعلم ان في بعض من يكون ظاهره الاسلام من يكون
 منافقا تابعا يهوديا او نصرانيا او زنديقا معطلا فقد يكون في الآخرة مع نظائره كما قال
 تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشباههم ونظائهم وقد يكون بعض من مات وظاهره
 كافرا من اهل البيت ورسوله قبل الفرج ولم يكن عنده مومن وكل اهل حاله اما
 لاجل ميراث او غير ذلك فيكون مع المؤمنين وان كان مقبورا بين الكفار واما ان نقل
 الملائكة فما شئت بذلك بانظر والله أعلم **مسألة** فيما يقرر القرآن العظيم
 او شيء منه هل افضل ان يهدى ثوابه لوالديه ولموتى المسلمين ولا لوالديه عقيب
 الفراق يقول اللهم اوصل ثوابه لوالديه ولموتى المسلمين او يحمل ثوابه لنفسه خاصة
الجواب افضل العبادات ما وافق هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدي السابقين
 الاولين المهاجرين والانصار كما حج عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبة ان خير
 الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور خذنا بها وكل بدعة ضلالة
 وقد قال تعالى والسابقون الاولون المهاجرين والانصار والذين اتبعهم باحسان رضي
 الله عنهم ورضوا عنه رضي الله عنهم مطلقا ورضي عن بعضهم باحسان وقد ثبت
 بحمد الله عليه وسلم في الصحيح وغيره وجه انه قال خير القرآن القرآن الذي يرضيهم

الجنائز وعند زيارته قبورهم وغير ذلك وروي عن طائفة من السلف ان عند كل ختمه
 دعوى مجابة فاذا دعا الرجل عقيب الختمه لنفسه ولوالديه ومساخيه وغيرهم
 من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من الجنس المشروع وكذلك دعاءه لم يفي قيام
 الليل وغير ذلك من موطن الاجابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بالصدقة
 عن الميت وانما امر بان يصام عنه الصوم الذي نذر في الصدقة عن الميت من
 الاعمال الصالحة وكذلك ما جات به السنة في الصوم عنهم ويجوز ذلك وبهذا وغيره
 اخرج من قال من العلماء انه يجوز اهداء ثواب العبادات البدنية الى موتى المسلمين كما هو
 في هذا عهد ولي جنتهم وطائفة من اصحاب ملك والشافعي ما اذا اهدى الميت ثواب
 صيام او صلاة او قراءة جاز ذلك وانما صحاح ملك والشافعي ما شرع ذلك في العبادات
 المالية كالصدقة والعقرب ويجوز ذلك في العبادات البدنية بناء على ان هذه تقبل
 النيابة ويجوز التوكيل فيها بخلاف تلك ولا ولون يقولون هذا ثواب ليس من باب
 النيابة كما ان الاجير الخاص ليس له ان يستيب عنه وله ان يعطى عنه لمن شاء والجار
 ابي حنيفة من اهل الناس عن الاستنباه في الصيام ويجوز اضع هذا اهداء الثواب
 والنباه انما يجوز في مواضع مخصوصة بخلاف اهداء من اجمع على منع اهداء بقوله
 وان ليس للانسان الا ما سعى فهو مبطل لتواتر النصوص وانما قال لا يهدى على ان
 الانسان قد شفع بعمل غيره والايه انما نفت الاستحقاق لشع الغير لم ينفى الاستحقاق
 بشع الغير والفرق بينهما بين ومع هذا فلم يكن من عادات السلف اذا
 صلوا تطوعا او صاموا تطوعا او حجوا تطوعا او قرأوا القرآن ان يهدوا ثواب
 ذلك الى موتى المسلمين بل ولا خصوصهم بل كان من عادتهم كما تقدم فلا يبيع للناس ان
 يعدلوا عن طريق السلف فانه افضل واكمل وقد سخطنا الخواص في اهداء الثواب الى
 غيره وسلم في جواب كبيره وبنا انه ليس مشروع وذكرنا ما يتعلق بذلك من الحكم والمعاني والتمائم

اتوال قيل لا يجوز وهو مذهب أبي حنيفة وهو المشهور من مذهب الشافعي وأحمد وقيل
 يجوز وهو قول مالك والشافعي في القديم وقيل إن كان للحاج حادراً ولا فلا مثل إن
 يكون قال وجهه ولا يملك الصلاة إلا قدم الإمامة فالصلاة أمامه خير من ترك الصلاة
 وأما إذا أمكنه الصلاة خلفه فلا يصح الاحتفان وهو أحد الأقوال وأما ما سئل
 وهذا قول مذهب أحمد وغيره والأحاديث هذه أوردت بسنده رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من ثلثة رجل كلما ختم القرآن أو قرأ شيئاً منه يقول اللهم اجعل ثوابي
 ما قرأته هذه مني وأصله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى جميع أهل الأرض
 في مشارق الأرض ومغاربها فعل يجوز ذلك ويستحب وهل يحل التصدق بذلك على
 فاعله وهل فعله أحد علماء المسلمين الجوانح الحمد لله هذه المسألة
 مبنية على أصل وهو أن هذا ثواب العبادات إلى المولى هل يصل إليهم أم لا فأمّا
 العبادات المالية كالصدقة فلا نزاع بين المسلمين بها تصل إلى الميت إذا ثبت في الصحيح
 أن سعداً قال يا رسول الله إن أي فتلتت نفسها وأراها لو حكمت لتصدقت فهل يتصدق
 أن تصدق عنها قال نعم وأما العبادات البدنية كالصوم والصلاة والقراءة فيمنها
 قولان أحدهما يجوز هذا ثوابها إلى الميت وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وطائفة من
 أصحاب مالك والشافعي والباقي لا تصل وهو المشهور عند أصحاب مالك والشافعي
 وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة قالت يا رسول الله إن أي نذر صيام
 شهر فما لصوتي عن أمك فهداه الأثر في الصحيح يدل على أن العبادات البدنية تصل
 عزالت كالعبادات المالية وفي الترمذي عن عمار بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان
 يضي عن النبي صلى الله عليه وسلم صدقته ويدلر أنه أسرى بذلك إذ أعرف هذا فاهذا
 ثواب القرآن إليه صلى الله عليه وسلم أو إلى جميع أهل الأرض هو مثل هذا ثواب الصيام التطوع
 والصلاة التطوع ونحوهما ومثل هذا ثواب الصدقة والعقود على أحد القولين إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين لم يبلغنا أن أجزاء السلف والصالحين والتابعين

وهم اجماعاً والذين يحدون القبور يساجدون لهذا سيد ولد آدم يلين ان محدثين بمجداً ودينهم في حجة
 وكان المشركون يدعون في مقابرهم فالذي يقصد ان يدفن في دار ليصل عنده
 مقصوده خلاف مقصود النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فمن قصد ذلك فقد
 ضاها من الله ورسوله وفي التنزيل عليه وسلم الله تعالى لغف زوارات
 القبور والمحدثين عليها المساجد والترح فمن قصد ان يدفن بعض الشيوخ في موضع
 ليندركه واسرائح عليه فقد اغضب الله ورسوله وليس لغيره ان يغير والمحدث يفتح شان
 لاجل ذلك والله سبحانه اعلم **مسألة** في كل طعام في الحرم هل هو حايض
 ومن يحدث بين الناس بكلام او كتابات مفتعله كلها كذب هل يجوز ذلك
الجواب الحمد لله اما المحدث باحاديت مفتعله ليصالح الناس
 او لغرض اخر فانه عام لله ورسوله وقد روي به من حكم عن النبي عن عبد الله بن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الذي يحدث في كذب ليصلح القوم منهم ومن لم يملك
 ثم روى له وقال ابن مسعود ان الكذب لا يصلح في حبل ولا هرل ولا ابن عباد احدثكم
 صبيه شيئاً لا ينجح واما ان كان في ذلك ما فيه عدوان على مسلم ومصر في
 الدين فهذا أشد محرماً من ذلك وبكل حال ففاعل ذلك مستحق للعقوبة الشرعية
 التي تزدعه عن ذلك **فصل** واما ما يوضع الميت فالذي
 ينع الميت ويصل اليه باتفاق العلماء هو الصدقة ونحوها فاذا تصدق عن الميت
 بذلك المال لقوم مستحقين لوجه الله تعالى ولم يطلب منهم عملاً اصلاً كان ذلك
 نافعاً للميت والحي الذي تصدق عنه باتفاق العلماء كما في الصحيحين ان سعداً
 قال يرسول الله ان امة قتلت نفسها وازاها لو تكلمت تصدقت فهل ينفعها
 ان تصدق عنها قال نعم واما الثري قوم يقرأون القرآن ويهدون
 ذلك الميت فهدى بدعته لم يفعلها السلف ولا استحبها الائمة لكن لو قرأ الانسان

القرآن لله وهذه للميت وصل اليه الثواب عندني حبيبه واجد وغيرهما كما تصل
 اليه الصدقة فان هذا تصديق لله وهذا قرآن لله وذلك عمل صالح يرفع الله به
 الحي والميت محله الذي يكثر من يقرأ فان القاري لما قرأ لأجل العوض والعطى
 أنا اعطى عوضا ما استعمله فيه والفقهاء تنازعوا في استيجاز علي تعلم القرآن فاما
 استيجاز من يقرأ ويهدي فما علمت اجدا من العلماء ذكر ذلك ولكن اذا قرأ
 القرآن فاستماعه حسن واما الاكل من الطعام فان كان قد صنعوا من ماله المحرم
 الاكل منه وان كان قد صنع من ثوبه الميت وعليه ديون الموتى وله ورثه صغار وفي ذلك حقوقهم لم يملكه
مسئله في زلمات وتزوج اخوه امراته ثم انها ماتت فهل حل ان يتزوج
 مع زوجها الاول في قبر واحد **الجواب** الحمد لله بركة من اشبه في
 قبر واحد **الحاجه** سواء كان اجنبيا او لم يكن واذا اجمعت الى ذلك جعل بينهما جرح
مسئله في عرض الاديان عند الموت قبل ذلك اصل في الكتاب والله
 اتم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انما لتعتنوا في قبوركم ما المراد بالقسمه واذا ازدد
 العبد والعباده الله بخاري بآعماله الصالحه قبل الرده **الجواب**
 الحمد لله رب العالمين تناقض الاديان على العبد وقت الموت فليس هو امرا عا ما
 لكل احو ولا هو ايضا مستغنا عن كل احد بل من الناس من تعرض عليه الاديان قبل
 وبهم من لا تعرض عليه الاديان وقد وقع ذلك في حق اقام بل قد تعرض عليه الاديان
 قبل موته ايضا وذلك كله من فتنه الجحيم الذي مرنا ان نستعيد في صلاتنا منها
 في الحديث الصحيح الذي امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نستعيد في صلاتنا من رزع من
 عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنه الجحيم والممات ومن فتنه المسيح الدجال
 ولكن وقت الموت يكون الشيطان احرص ما يكون على اغواء ابن ادم لانه وقت الحاجة
 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الاعل بحوائبها وقال صلى الله عليه وسلم

قال اجعل ثلثي صلاتي قال اذا لم يكن لك الله تعالى ترك فقال اجعل صلاتي كلها عليك
 قال اذا لم يكن لك الله ما اهلك من امر دينك واخرتك وفي فصل الصلاة عليه ياتي هو
 واتي من الاثار ما يصدق هذا الموضع عن ذلك وكذلك الحديث للموسى والموثبات
 ولا تستغفار لهم هو الذي جاءه الكتاب والشه قال يحيى واستغفر لذنوبك والموثبات
 والموثبات وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم من يعلى وهو يدعوا فقال يا علي عم فان
 فضل العمور على الجصور من فضل السما على الارض وفي السنن اشرع الدنيا الطاه
 دعوه غايب لغايب وفي الصحيح ما من رجل يدعو لاجيه يظهر الغيب بدعوى الاوكل
 اسمه ملكا كما قال الملك الموكل به امين قال ذلك مثل قال لافعال الشريعة
 هي التي ينبغي للمؤمن ان يتحراها والله اعلم **مسألة** في الميت هل غسله
 طاهرا من نجس وهل تجوز الزاوة الرجل والرجل الزاوة وهل يحل من عمن الزاوة
 الرجل والرجل عن الزاوة وما يعطى الجراح عن الميت الجواب **باب** الجرح
 رب العالمين بل غسله طاهرا عند ما هب العلم فان ابن عباس وغير واحد من الصحابة
 قال الميت لا ينجس حيا ولا ميتا وثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينجس
 اجماعه في طريقه فاخفاه منه فذهب فاعترضه فمات فقال انك كنت قال اني كنت
 حيا قال سبحان الله ان المؤمن لا ينجس وهذا كان جمهور العلماء على ان الماء الشغل
 من غسل الجنابة والجحيش والوضوء طاهر وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 توفوا وصب وضوء علي جابر واما دفن الرجل للزاة فاذا كانت الزاوة تدفن في
 المقابر فالسنة ان لا تشهد جنازة الا الرجال لا يحضر النساء وخبيد فيدفعها
 رجل من اهل الخيز كما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باطلجه ان يترك في قبر ابنته
 وهذا وان كان فيه من الزاوة فوق الكفن فهو جاز لا لاجل الحاجة لان خروج النساء
 مع الجنائز منهن عنه واما ان قد دفن الزاوة تدفن في موضع غير النساء فاجاز للزاة
 لها اولي من الجنازة **مسألة** في حكم من غسله كالرجل بعد الرجل الا

هو صلوته والميت ايضا يرحم بصلاته الحى عليه كما قال ما من مسلم يموت فيصل عليه
 ابيه من المسلمين يبلغون ان يكونوا مائة ويرى اربعين ويرى ثلثة صفوف
 ويشفعون فيه الاشفعوا فيه او قال لا تغفر له فالتعالى ثبت هذا الساعي
 على شيعه الذي هو له ويرحم ذلك الميت بسعي هذا الحى كدعا به له وصدقته
 عنه وصيامه عنه وحجه عنه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال ما من رجل يدعوا لاجيه يدعو له الا وكل الله به ملكا كلما دعا لاجيه
 دعوه قال الملك لو كل به امين ولكن غفل فهذا من السعي الذي ينتفع به
 المؤمن اخاه بقتل الله هذا ويرحم هذا وليس للانسان الا ما سعى وليس كما استفع
 به الميت او الحى ويرحم به يكون من شيعه بل اطفال المؤمنين يدخلون الجنة مع
 ابايهم بلا سعي فالذي لمكر الله اخضر من الاستغفار ليل يطلب الانسان
 الثواب على غير علمه وهو كالدين يوفيه الانسان عن غيره فبما ذمته لكن
 ليس له ما وني به الدين وينبغي له ان يكون هو المولى له والله اعلم حسنة له
 في الدعا عند القبور مثل الصالحين والا ولياء هل هو جازا ام لا وهل هو
 مستجاب اكثر من الدعا عند غيرهم ام لا واي الامان الدعا فيها افضل الجواب
 ليس الدعا عند القبور بافضل من الدعا في المساجد وغيرها من الاماكن
 وقال احمد من السلف والايه انه يستحب ان يقصد القبور لاجل الدعا عندها
 لا قبور الانبياء ولا غيرهم بل قد ثبت في صحيح البخارى ان عمر بن الخطاب
 استسقى بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انا كما نستسقى اليك
 بنينا فتسقنا وانا نوسل اليك بنينا فاسقنا فاستسقوا فاستسقوا
 بالعباس كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه عم النبي صلى الله عليه
 وسلم وما كانوا يستسقون عند غيره ولا يدعون عنده بل قد استفاض عن

رِسَالَتِي فِي

إِهْلَاءِ الثَّوَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

بتحقيق وتعليق
أبي محمد الشرف بن عبد القموص

أضواء السلف

مَسْأَلَةٌ

نص السؤال
الموجه لشيخ
الإسلام

فَمِنْ بَعْضِ النَّاسِ مَنْ أَهْلَ الْإِيمَانِ أَنْ يَصُومُوا وَيَصَلُّوا وَيُضَدِّقُوا
وَيَسْأَلُوا إِنْ تَقَبَّلَ مِنْهُمْ وَيُوصِلُ أَجْرَ ذَلِكَ
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَزْوَاجِهِ وَأَوْلَادِهِ

فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْهَدِيَّةَ وَيَأْمُرُ بِهَا لِلتَّحَابِبِ .

فَقِيلَ لَهُ : ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ؟

فَقَالَ : إِنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُضَحِّي عَنْهُ
بَعْدَ مَوْتِهِ (١) .

وَأَنَّ أَبِي بَنِي كَعْبٍ قَالَ : « إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ ، فَكَمْ
أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ »

قَالَ : مَا شِئْتَ .

قَالَ : الرَّبْعُ ؟

(١) يأتي نص الحديث في ذلك وتخرجه ص (٣٩) .

قال : مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ .

قال : النِّصْف ؟

قال : وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ .

قال : الثُّلُثَيْنِ ؟

قال : مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ .

قال : يا رسول الله ! فَأَجْعَلْ لَكَ صَلَاتِي كُلِّهَا ؟

قال : إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ ، وَيُغْفِر ذَنْبَكَ ^(١) .

فما هذه الصَّلَاةُ المَقْسُومَةُ بالرُّبُع والنِّصْف والثُّلُثَيْنِ والكُلِّ ؟

فإن كانت الصَّلَاةُ عليه فكلِّها له ، وللمُصَلِّي أَجْرُهَا

وكانت الزِّيَادَةُ فيها تكون بالأَعْدَادِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى عَشْرَةٍ

إِلَى مِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ فَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فأنصرف المفهوم أنها

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٧) وأحمد (١٣٦ / ٥) والحاكم (٥١٣ / ٢) وعبد بن

حميد (٨٩ / ١) برقم (١٧٠) من حديث أبي بن كعب ، وقال

الترمذي : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » . وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ :

« أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ » ، « فتح الباري » (١١ / ١٦٨) .

وراجع : « مجمع الزوائد » (١٠ / ١١٨) و « جلاء الأفهام » (١٤٧ ، ١٤٨) .

و « القول البديع » (١١٩) .

صلاة نوافله وتطوعاته ، وأن يجعل له ربعها ونصفها
وثلاثيها وكلها فهل أصاب فيما أمر به وَخَضَّ عليه ؟
وبناء على ما رواه الدارقطني^(١) أن رجلاً سأله فقال : يا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لي أبوان ، وَكُنْتُ
أبرهما حال حياتهما ، فكيف لي بالبرِّ بعد موتهما ؟
فقال له النبي ﷺ : « إِنَّ من البر بعد البر أن تُصَلِّيَ لهما
مع صَلَاتِكَ ، وأن تصوم لهما مع صيامك ، وأن تصدق
لهما مع صدقتك » . /

/ ١٧٧٥ /

فقيل : إن عمل الولد من الخير مُلْحَق بالوالدين لوجوب
حَقِّهما !! .

فقال : حَقُّ النبي ﷺ أَوْجَب ، وحَقُّ أزواجه أمهات
المؤمنين أَوْجَب من أمهات الأولاد .

(١) الحديث لم أعثر عليه عند الدارقطني المطبوع ، وقد عزاه إليه أيضا : الشوكاني في
« نيل الأوطار » (٤ / ١٤٣) والصنعاني في « سبل السلام » (٤ / ٩١) .
وقد رواه ابن أبي شيبة (٣ / ٣٨٧) من طريق ابن أبي رواد ثنا شريك عن
الحجاج بن دينار قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ من البر .. » الحديث .
وراجع ما سيأتي ص (٥٧) عن الرواية عند مسلم في مقدمة صحيحه .

فقيل له : فهلا فعلَ أبو بكر ذلك ؟

قال : وما يدريك قد فعلَهُ عَلَيَّ رضي الله عنه حين ضَحَّى عنه .

فقيل : إِنَّ النبي دَعَا الناس إلى الهدى والخير كله ، وله أجر كل من تبعه .

فقال : إِنَّ الوحدانية حقٌّ لله في الأزل والأبد ، لا يُزيلها إنكار مُنكِرٍ لها ، ويثاب المُقِرُّ بها طَوْعًا راضيًا مختارًا ، والكون وما فيه ملكه ثانيًا لا يُزيله مُلك مَالِك ، ونحن نَتَقَرَّب منه بشقِّ تمرَةٍ .
فما الحكم في ذلك مع صِحَّة القصد ، وما ذهب إليه من التأويلات ، أفتونا مأجورين ؟



فَأَجْمَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١- أَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَشْهُول عَنْهُ مِنْ إِهْدَاءِ ثَوَابِ الْقُرْبَاتِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُبَّادِ^(١) ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ الَّتِي ذَكَرْتُ عَنْهُ وَلَكِنْ بَنَوْا ذَلِكَ عَلَى أَنْ إِهْدَاءِ ثَوَابِ الْقُرْبِ إِلَى مَوْتَى الْمُؤْمِنِينَ جَائِزَةٌ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ .

٢- وَلَا رَيْبَ أَنَّ الصَّدَقَةَ عَنْ الْمَيِّتِ جَائِزَةٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ ، وَإِنْ تَنَازَعَ الْأُئِمَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ الْبَدْنِيَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْقِرَاءَةِ^(٢) .

٣- فَمِنْهُمْ مَنْ سَوَّى بَيْنَ التَّوَعِينِ ؛ كَأَحْمَدَ ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي كُتُبِ الْحَنْفِيَّةِ ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ .

اتفاق الأئمة
علي إهداء
العبادات
المالية
وتنازعهم في
العبادات
البدنية

(١) مِنْهُمْ تَقِي الدِّين السَّبْكِ وَابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ وَالرَّمْلِيُّ وَالْقَلْبِيُّوِي كَمَا فِي « كَشَفِ الشُّبُهَاتِ عَنْ إِهْدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَسَائِرِ الْقُرْبِ لِلْأَمْوَاتِ » لِحَمُودِ حَسَنِ رَبِيعٍ وَهُوَ كِتَابٌ مَلِيءٌ بِالْمَغَالِطَاتِ فَلْيَتَنَبَّهُ .

(٢) رَاجِعْ : « حَاشِيَةُ ابْنِ عَابِدِينَ » (٢ / ٢٤٣ ، ٥٩٦) ، وَ « الْمَبْسُوطُ » (٢ / ١٦٣) (٤ /

١٥٢) ، وَ « شَرْحُ فَتْحِ الْقَدِيرِ » (٣ / ١٤٢ ، ١٤٤) ، وَ « بَدَائِعُ الصَّنَائِعِ » (٢ / ٢١١ ، ٣ /

٢٠٩ /) ، وَ « فَتْحُ الْبَارِي » (٢ / ٧) (٤ / ٦٩) (٤ / ١٠٧ ، ١٧٦) وَ « أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ »

(٢ / ١٢٨) وَ « الرُّوحُ » (١٥٦ ، ١٩٢) وَ « تَفْسِيرُ الْمَنَارِ » (٨ / ٢٥٤ - ٢٧٠) وَ « فِتَاوَى

اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ » (٩ / ٢٥ - ٦٩) .

٤- ولكن أكثر أصحاب مالك والشافعي يُفَرِّقُوا بين العبادات البدنية والمالية ؛ لأن المالية يَدْخُلُهَا الثَّيَابَةُ والتوكل ؛ فيجوز للرجل أن يَسْتَتِيبَ في صَدَقَتِهِ ، ولا يَجُوزُ له أن يَسْتَتِيبَ في صَلَاتِهِ وصِيَامِهِ .

رُدُّ من سوى
بين العبادات
على من
فُزِقَ بينهما

٥- والأوَّلون أجابوا عن هذا من وجهين :

٦- أَحَدُهُما : أن الثَّيَابَةَ في العبادات البدنية تَجُوزُ للحاجة

الوجه الأول
التياب في
العبادات
البدنية تجوز
للحاجة

٧- كما ثبت في « الصحيحين » ^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » .

٨- ولكن فرض الصَّلَاة لا نيابة فيه ؛ لأن الإنسان لا يعجز عما وجب من الصَّلَاة ، فلا عُذْرُ له في [تَرْكِهِ] ^[١] .

٩- والصَّوْمُ له بدل / وهو الإطعام ؛ كما قال تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

١٠- فلما نُسِخَ ذلك وتَعَيَّنَ الصَّيَامُ على القادر بقي العاجز كالشيخ

(١) البخاري (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧) (١٥٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

[١] بالأمل كلمة مطبوعة ورايين العرفلين زيادة يستقيم بها السياق .

الذي لا يُرَجى قدرته ، والمريض المأْيوس من بُرئه ، فإنه يفطر باتِّفاق
الْعُلَمَاء ، وأكثرهم يُوجِبُون عليه الفدية ، وهو مذهب الشافعي
وأحمد وأبي حنيفة ، وأمَّا مالك فلا يوجب عليه فدية .

١١- وأمَّا « الصَّوم عن المَيِّت » :

فَقِيلَ : لا يُصَامُ عَنْهُ بِحَالٍ ؛ كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ فِي
الْجَدِيدِ ، لَكِنَّ الشَّافِعِيَّ وَطَائِفَةَ يَقُولُونَ : يُطْعَمُ عَنْهُ ، إِذَا الْإِطْعَامُ
هُوَ الْبَدَلُ .

وَقِيلَ : بَلْ يُصَامُ عَنْهُ الْفَرَضُ وَالنَّذْرُ ، وَهُوَ قَوْلُ لِلشَّافِعِيِّ .

وَقِيلَ : يُصَامُ عَنْهُ النَّذْرُ ، وَأَمَّا الْفَرَضُ يُطْعَمُ عَنْهُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ
أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ ، أَتْبَاعًا لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْرِيقِهِ بَيْنَهُمَا .

١٢- وَهُوَ الَّذِي رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ
صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ »

١٣- وَرَوَتْهُ عَائِشَةُ أَيْضًا^(١) ، وَكَلَّا الْحَدِيثَيْنِ فِي الصَّحِيحِ .

١٤- وَقَدْ جَاءَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ مُفَسَّرًا فِي النَّذْرِ ؛ كَمَا فِي

(١) تقدم تخريجه ص (٢٢) .

« الصحيحين »^(١) عنه : أن امرأة قالت : يا رسول الله ! إِنَّ أُمِّي ماتت وعليها صَوْم نَذْر ، أَفَأَصُوم عنها ؟ قال : « أَرَأَيْت لو كان على أُمِّكَ ذَنْب فَقَضَيْتَهُ أَكَانَ يُؤَدِّي ذلك عنها ؟ » .
قالت : نَعَمْ . قال : « فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ » .

١٥- وفرّقوا بين الفرض والنذر : بأن الله قد جعل لما فَرَضَهُ بَدَلًا ، وهو الإطعام من مال من وَجِبَ عليه ؛ كما جعل في الكفارة من عَجَز عن صوم الشهرين المتتابعين أطعم ستين مِسْكِينًا ، والبذل من ماله أَوَّلَى من بدن غيره ، والله لا يُوجِب على عباده ما يَعْجزون عنه
١٦- ولهذا لو استمر به المرض المرجو إلى ما بعد رمضان ولم يتمكن من القضاء ، فلا إطعام عنه ، ولا قَضَاء باتِّفاق الأئمة ، بخلاف ما أَوْجَبَهُ العبد على نَفْسِهِ ، فإنه قد يُوجب ما يعجز عنه كما يَسْتَدِين ما لا يَطِيق وَفَاءه ، فيكون فعل الغير عنه ، كقضاء الدَّين عنه ، وذلك جائز .

١٧- وحقيقة هذا القول : أن من عَجَزَ عن الصَّيَام والفِدْيَةِ فلا شيء عليه ، فلا يحتاج أن يصوم عنه ، ومن قَدَرَ على أَحَدِهِما فلا بُدَّ له من أَحَدِهِما .

١٨- والمقصود هنا : أَنَّ الشَّارِعَ^[أ] / سَوَّغَ الصَّوْمَ عَنْ الْمَيْتِ كَمَا سَوَّغَ الْحَجَّ عَنْهُ فِي الْجُمْلَةِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : لَا تَدْخُلُهُ النَّيَابَةُ بِحَالٍ .

١٩- والوجه الثاني : أَنَّهُمْ قَالُوا : إِهْدَاءُ ثَوَابِ الْعَمَلِ إِلَى الْمَيْتِ لَيْسَ نِيَابَةً عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْعَامِلُ عَمَلَ لِنَفْسِهِ ، لَا عَنْ الْمَيْتِ ، وَالْإِنْسَانُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا مَا سَعَى ؛ فَهَذَا السَّعْيُ لِلْحَيِّ لَا لِلْمَيْتِ ، لَكِنْ الْحَيُّ^[ب] اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ أَجْرًا مِنَ اللَّهِ ، فَتَبَرَّعَ بِهِ لِلْمَيْتِ ، كَمَا يَتَبَرَّعُ الْأَجِيرُ بِأَجْرَتِهِ لغيره ؛ وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ فِي الْإِجَارَةِ لِنَفْسِهِ لَا لِلْغَيْرِ .

٢٠- وَلِهَذَا يُفَرَّقُ فِي الْإِجَارَةِ بَيْنَ مَنْ يَعْمَلُ لغيره وَيَنْتَهِزُ مِنْ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ وَيُعْطَى الْأَجْرَةَ لغيره .

فَالأَوَّلُ : كَالْأَجِيرِ الْمَشْتَرِكِ الَّذِي التَّزَمَ الْعَمَلَ فِي ذِمَّتِهِ إِذَا أَعْطَاهُ لِبَعْضِ النَّاسِ لِيَعْمَلَ عَنْهُ ، كَانَ ذَلِكَ عَمَلًا بِطَرِيقِ النَّيَابَةِ عَنْ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ وَهُوَ نَظِيرُ قَضَاءِ الدَّيْنِ .

وَالثَّانِي : كَالْأَجِيرِ الْخَاصِّ أَوِ الْمَشْتَرِكِ الَّذِي عَمَلَ مَا عَلَيْهِ وَأَخَذَ أَجْرَتَهُ فَأَعْطَاهَا لغيره .

٢١- وَلِهَذَا كَانَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ لَا يَجُوزُونَ النَّيَابَةَ فِي الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ ، وَيُجَوِّزُونَ إِهْدَاءَ ثَوَابِهَا .

[ب] فِي الْأَمَلِ : الْحَيُّ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهَا السِّيَاقُ .

[أ] تَكَرَّرَتْ بِالْأَمَلِ كَلِمَةُ الشَّارِعِ ، ١١

٢٢- وكذلك أصحاب أحمد يجوزون إهداء ثواب العبادة حيث لا يجوز النياحة ، حتى يجوزون إهداءها إلى الحي ، في أصح الوجهين ، وهو المنصوص عن أحمد .

٢٣- وفي إهداء ثواب الفريضة لهم وجهان .

٢٤- وبعض الناس يحتج على أن إهداء ثواب القرب لا تصل إلى الميت بقوله : ﴿ وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] واحتجاجه بهذه الآية حجة باطلة بكتاب الله ، وسنة رسوله وإجماع المسلمين^(١) .

الاحتجاج بقوله ﴿ وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وبيان ما فيه

٢٥- فإن القرآن : دَلُّ على الاستغفار للمؤمنين ، كما في استغفار الملائكة والأنبياء لهم ، وذلك ليس من سعيهم .

٢٦- قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ الآية [غافر : ٧] .

٢٧- وقال تعالى : ﴿ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

(١) راجع الرسالة الآتية ص (١٤٥) في الكلام على هذه الآية .

٢٨- وقال تعالى عن نوح : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح : ٢٨] .

٢٩- وقال عن إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

٣٠- وقد / اتفق المسلمون على سنة رسول الله ﷺ ، وهو :

/ و ١٧٩ /
ما اتفق عليه
المسلمون في
هذا الباب

(١) الصَّلَاة على المَيِّت .

(٢) والدُّعَاء له .

(٣) والشفاعة فيه .

(٤) واتفقت الأمة على أن : الصَّدَقَة تنفع المَيِّت .

٣١- كما ثبت في « الصحيحين » (١) : أَنَّ سَعْدًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !
إِنَّ أُمَّيْ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا ، وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ لَتَصَدَّقْتَ ، فَهَلْ يَنْفَعُهَا
أَنْ أَتَصَدَّقُ عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

٣٢- فما كان جواب هذا المحتج عن الدُّعَاء والصدقة عن المَيِّت كان

(١) البخاري (١٣٨٨) ومسلم (١٠٠٤) (٥١) عن عائشة رضي الله عنها .

« أَفْتُلِتَتْ » : بِضَمِّ الْمَثْنَاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ أَيْ سَلِبَتْ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ بِالْقَافِ وَتَقْدِيمِ الْمَثْنَاءِ وَقَالَ : هِيَ كَلِمَةٌ تُقَالُ لِمَنْ قَتَلَهُ الْحَبْ وَلَمْ يَمَاتْ فَجَاءَ ، وَالْمَشْهُورُ فِي الرِّوَايَةِ بِالْقَافِ .

« فتح الباري » (٣ / ٢٥٥) .

جوابًا لغيره عن الصَّيام عنه ونحو ذلك من العبادات .

٣٣- وقد ذَكَرَ الناس عن الآية أجوبة متعددة على أنها منسوخة^(١) .
وقيل : مخصصة^(٢) .

أجوبة
متروكة في
الآية والرد
عليها

(١) أورد شيخ الإسلام رحمه الله نقلًا عن ابن الجوزي في « زاد المسير » (٨ / ٨٠) ثمانية أقوال ثم ناقشها وفندها ومنها هذا القول : « أنها منسوخة بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَدْخَلَ الْآبَاءَ الْأَبْنَاءَ الْجَنَّةَ بِعَمَلِ الْآبَاءِ وَصَلَّاهُمْ ﴾ قاله ابن عباس ولا يصح ؛ لأن لفظ الآيتين لفظ الخبر والأخبار لا تنسخ » .

قال شيخ الإسلام : « قلت اللفظ المنقول عن ابن عباس رواه علي بن طلحة الوالبي عنه ، وقد قيل إنه لم يسمعه منه ، بل من أصحاب ابن عباس ، قال : « فأدخل الله الأبناء بصلاح الآباء الجنة » ولم يذكر نسخًا ، ولو ذكره فمراد الصحابة بالنسخ المذكور في قوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ [الحج : ٥٢] وهو فهم معنى الآية على غير الصواب والمراد بها . فقد بين ابن عباس أنه لم يرد بهذه الآية أن الإنسان لا يتنفع بعمل غيره ؛ فإن الأبناء انتفعوا بعمل آبائهم ، فهذا نسخ لما فهم منها ، لا لما دلت عليه ، وهذا القول المنقول عن ابن عباس أحسن ما قيل فيها ، وقد ضعفه من لم يفهمه . وسائر الأقوال فيها ضعيفة جدًا ، وقد نقل البغوي هذا عن ابن عباس وقال : « هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة لهذه الأمة » ولم يقل ابن عباس هذا ، وما أكثر ما يحرف قول ابن عباس ويغلط عليه » « تفسير آيات أشكلت » (١ / ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

(٢) قيل : المراد بالإنسان هنا الكافر ، وأما المؤمن فله ما سعى وسعى إليه ؛ قاله الربيع بن أنس . قال شيخ الإسلام : « وهذا أيضًا ضعيف جدًا ؛ فإن الذي في صحف إبراهيم وموسى لا يختص به الكافر وقوله بعده : ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ الآيات يتناول المؤمن قطعًا ، وهو ضمير الإنسان . بل لو قيل : إنه يتناول المؤمن دون الكافر لكان أرجح من العكس ، مع أن حكم العدل لا فرق فيه بين مؤمن وكافر ، وما استحققه المؤمن بخصوصه فهو بإيمانه ومن سعيه » .
« تفسير آيات أشكلت » (١ / ٤٦٣) .

وراجع : « زاد المسير » (٨ / ٨٠) و « تفسير البغوي » (٤ / ٢٥٤) .

وقيل : مُخْتَصَّة بِشَرَع من قبلنا^(١) .

وقيل : نسبة الإيمان الذي هو شرط وُضُول الثواب من سَعِيهِ^(٢) .

٣٤- والآية لا تحتاج إلى شيء من هذا ؛ فإن الله أخبر عَمَّا في الصُّحُف أنه ليس للإنسان إلا مَا سَعَى ، ولم يقل : لا ينتفع إِلَّا بما سعى ، وأنَّ الإنسان فيما ينتفع به في الدنيا قد ينتفع بما يملكه وبما لا يملكه ، فلا يلزم من نَفْي الملك نَفْي الانتفاع لكن هو يستحق الثَّواب على سعيه ؛ لأنه حَقُّه ، فلا يخاف منه ظُلْمًا ولا هَضْمًا .

(١) قيل : المراد به قوم إبراهيم وموسى وأما هذه الأمة فلهم ما سَعَوْا وشعبي لهم ؛ قاله عكرمة كما في « زاد المسير » (٨٠ / ٨) وراجع : تفسير البغوي (٤ / ٢٥٤) .

قال شيخ الإسلام : وهذا ضعيف ؛ لأنَّ الله إنما ذكر هذا ليختبر به هذه الأمة كما تقدم ، وليعلموا أن هذا حكم شامل ، ولو كان هذا مخصوصا بالأمتين لم تقم به حجة على أمة محمد ﷺ ، وجميع المسلمين يحتجون بما في هذا ، فمن أين لهم أن تلك الأمم لم تكن تنفعهم الصدقة عنهم بعد الموت ؟ « تفسير آيات أشكلت » (١ / ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

(٢) وذكر شيخ الإسلام أيضا أقوالاً أخرى منها : ما جاء عن الحسين ابن الفضل المفسر اللغوي أنه قال : « ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل ، وأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء » « زاد المسير » (٨٠ / ٨) وراجع : « المحرر الوجيز » لابن عطية (٤ / ٢٥٤) .

قال شيخ الإسلام : « وهو أمثل من غيره من الأقوال ، ومعناه صحيح ؛ لكنه لم يفسر الآية ؛ فإن قوله ﴿ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ ﴾ نفى عام فليس له إلا ذلك ، وهذا هو العدل ، ثم إن الله قد ينفعه ويرحمه بغير سعيه من جهة فضله » « تفسير آيات أشكلت » (١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤) .

٣٥- وأما سعي غيره فهو لذلك الغير ، فإن سعى له ذلك الغير أثاب الله ذلك الساعي على سعيه ، ونفع هذا من سعي ذلك بما شاء .

الدعاء لغيره كما يُثيبُ الداعي على دُعائِهِ لغيره ، وينفع المدعو له .

٣٦- كما ثبت في الصحيح^(١) أنه قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِدَعْوَةٍ ؛ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ قَالَ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ » .

٣٧- ومن ذلك : الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ . الصلاة على الميت

٣٨- فقد ثبت عنه أنه قال : « مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ »^(٢) .

٣٩- وثبت عنه : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ مَائَةِ »^(٣) .

(١) مسلم (٢٧٣٢) (٨٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ : « ما من عبد مسلم ... » .

قال النووي رحمته الله : « (بِظَهْرِ الْغَيْبِ) فمعناه : فِي غَيْبَةِ الْمَدْعُوِّ لَهُ ، وَفِي سِرِّهِ ؛ لِأَنَّهُ أُبْلِغَ فِي الْإِخْلَاصِ . قَوْلُهُ : (بِمِثْلِ) هُوَ بِكَشْرِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الثَّاءِ ، هَذِهِ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ ، قَالَ الْقَاضِي : وَرَوَيْنَاهُ بِفَتْحِهَا أَيْضًا ، يُقَالُ : هُوَ مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ بِرِيَازَةِ الْيَاءِ ، أَيْ : عَدِيدُهُ سَوَاءً ، وَفِي هَذَا فَضَّلَ الدَّعَاءُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَلَوْ دَعَا لْجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَصَلَتْ لَهُ الْفَضِيلَةُ ، وَلَوْ دَعَا لْجُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ فَالظَّاهِرُ مُحْصُولُهَا أَيْضًا ، وَكَانَ بَعْضُ السُّلَفِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو لِنَفْسِهِ يَدْعُو لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ ؛ لِأَنَّهَا تُسْتَجَابُ ، وَيَحْصُلُ لَهُ بِمِثْلِهَا » شرح النووي لمسلم (١٧ / ٤٩) .

(٢) البخاري (٤٧) ومسلم (٩٤٥) (٥٢) عن أبي هريرة ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ وَلَمْ يَتَّبِعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ » قيل : وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : أَصْغَرُهُمَا وَمِثْلُ أَحَدٍ » .

٤٠- وروي : « أَرْبَعِينَ » (١) .

٤١- وروي : « ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ » (٢) .

٤٢- فهو يثيب هذا الداعي وينفع المدعو له .

(١) مسلم (٩٤٧) (٥٨) عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْتَفِعُونَ بِأُمَّةٍ كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ » .

(٢) مسلم (٩٤٨) (٥٩) من حديث ابن عباس أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقَدِيدٍ أَوْ بِعُشْقَانَ فَقَالَ : يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ قَالَ : فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبِرْتُهُ فَقَالَ تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ أَخْرِجُوهُ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومَ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ » .

(٣) رواه أبو داود (٣١٦٦) والترمذي (١٠٢٨) وابن ماجه (١٤٩٠) وأحمد (٧٩ / ٤) وعنده : « إِلَّا غُفِرَ لَهُ » والحاكم (١ / ٣٦٢ ، ٣٦٣) من حديث مرثد بن عبد الله اليزني قال كَانَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَتَقَالَ النَّاسُ عَلَيْهَا جَزَأَهُمْ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ . ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ » . وقال الترمذي : « حَدِيثٌ حَسَنٌ » .

وقد حسنه الحافظ في « الفتح » (٣ / ١٤٥) ، والنووي في « المجموع » (٥ / ٢١٢) . وراجع : « أحكام الجنائز » للألباني ص (١٢٨) .

فائدة : قال النووي رحمه الله : « قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ خَرَجَتْ أَجْرِيَّةً لِسَائِلِينَ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ ، فَأَجَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ سُؤَالِهِ . هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ بِقَبُولِ شَفَاعَةِ مِائَةِ فَأَخْبَرَ بِهِ ، ثُمَّ يَقْبُولُ شَفَاعَةَ أَرْبَعِينَ ، ثُمَّ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ وَإِنْ قُلَّ عَدَدُهُمْ فَأَخْبَرَ بِهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ : هَذَا مَفْهُومٌ عَدَدٌ ، وَلَا يَحْتَاجُ بِهِ جَمَاهِيرُ الْأَصُولِيِّينَ فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ قَبُولِ شَفَاعَةِ مِائَةٍ مَنَعَ قَبُولَ مَا دُونَ ذَلِكَ ، وَكَذَا فِي الْأَرْبَعِينَ مَعَ ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ وَحِينَئِذٍ كُلُّ الْأَحَادِيثِ مَعْمُولٌ بِهَا وَيَخْصُلُ الشَّفَاعَةُ بِأَقَلِّ الْأَمْرَيْنِ مِنْ ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ وَأَرْبَعِينَ » . شرح النووي لمسلم (٧ / ١٧) .

٤٣- وكذلك : الْمُتَصَدِّقُ عَنْ الْمَيِّتِ بما يَصِلُ إليه من ثواب الصَّدَقَةِ . الصدقة عن الميت

٤٤- ومن هذا الباب : الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَطَلَبُ الْوَسِيلَةِ . الصلاة على النبي وطلب الوسيلة

٤٥- كما ثُبِتَ عنه في الصَّحِيح^(١) أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا » .

٤٦- وقال : « ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدُ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ / عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢) . / ظ ١٧٩ /

٤٧- فهذا هو الأَصْلُ الذي يَنْبَنِي عَلَيْهِ فِعْلُ الْقُرْبِ عَنْ الْأَمْوَاتِ مطلقًا . الأصل الذي يبنى عليه فعل القرب

٤٨- وبعضُ النَّاسِ يُعَارِضُ هَذَا بما ليس بِدَلِيلٍ شرعي ؛ بمَثَلِ أَنْ عليه فعل القرب

يقول عن نَبِيِّنا ﷺ وغيره من النَّبِيِّينَ أو الصَّديقين : هَذَا أَجَلٌ من أَنْ يُهْدَى لَهُ ثَوَابٌ أو أَنْ يُفْعَلَ عَنْهُ قُرْبَةٌ . دليل متكلف غير شرعي

ويرى أَنَّ هَذَا من بابِ الْخَفْضِ من مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَنَّهُ من بابِ حَاجَتِهِ إِلَى هَذَا الْفَاعِلِ .

٤٩- وَهَذَا الْكَلَامُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ

(١) مسلم (٤٠٨) (٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مسلم (٣٨٤) (١١) من حديث عن عبد الله بن عمرو بن رضي الله عنهما .

وَتُسَلِّمُ تَسْلِيمًا ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ مَعَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا^[أ] .

٥٠- حتى قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : « إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ » رواه الترمذي وقال : « حَدِيثٌ حَسَنٌ »^(١) .

٥١- وثبت عنه في « صحيح مسلم »^(٢) وغيره أنه قال : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا بِمِثْلِ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ^[ب] لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدُ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

(١) الترمذي (٤٨٦) وقد حسَّنه الألباني في « الصحيحة » (٢٠٥٣) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله : « قال ابن العربي : وَمِثْلُ هَذَا لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ فَيَكُونُ لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ انْتَهَى . وَوُزِدَ لَهُ شَاهِدٌ مَرْفُوعٌ فِي « جَزَاءِ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ » وَأَخْرَجَ الْقُتَيْبِيُّ فِي « عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ » عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ جَبْرِ قَالَ : « لَا تَكُونُ صَلَاةٌ إِلَّا بِقِرَاءَةٍ وَتَشْهَدٍ وَصَلَاةٍ عَلَيَّ » .
« فتح الباري » (١١ / ١٦٤) .

(٢) مسلم (٣٨٤) (١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

[أ] في الأصل : « وغير » والتصويب ليعظم السياق .

[ب] في الأصل : « الدرجة » بدل « الجنة » ١١ والتصويب من مسلم .

٥٢- وفي السنن : « ثُمَّ سَلْ تُعْطَهُ » (١) .

٥٣- فهذه أربع سنن أمر بها عند استماع الأذان : أن يقول كما يقول المؤذن . وقد جاء مُفسِّراً بالأمر بذلك في الحَيْعَلَة والحَوْقَلَة [١] ؛ لأنه دعاء للآدميين لا ذكر ، فيقال ما يُسْتَعان به على فعل ما دعي العبد إليه ، ثم أن يُصَلِّي عليه ، ثم أن يسأل له الوسيلة ، ثم قال : « سَلْ تُعْطَهُ » ؛ فإن هذا ليس بمظان إجابة الدعاء (٢) .

سنن أربع
أمر بها عند
استماع الأذان

٥٤- وفي « سنن أبي داود » (٣) وغيره عن أبي هريرة ، أن رسول الله

(١) الترمذي (٥٩٣) عن ابن مسعود قال : كُنْتُ أَصَلِّي وَالنَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَعَهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَلْ تُعْطَهُ سَلْ تُعْطَهُ » قال : وفي الباب عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ أَبُو عِيسَى : « حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » ، ووافقه الألباني في « صحيح الترمذي » (٥٩٣) .

(٢) لعل في الجملة سقط ؛ ففي حديث أنس عن النبي ﷺ مرفوعاً : « لَا يَرُدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْآذَانِ وَالْإِقَامَةِ » رواه أبي داود (٥٢١) والترمذي (٢١٢) وقال : « حسن صحيح » . وفي الحديث الآخر : « اطلبوا استحباب الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة » رواه الشافعي في الأم (١ / ٢٢٣ ، ٢٢٤) وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٤٦٩) .
وراجع « الأذكار » للنووي ص (٣٩ ، ٤١) .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٣٦٧) واللفظ له وأبو داود (٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عَيْدًا » وحسن إسناده المُصَنِّفُ في « الاقتضاء » (٢ / ٦٥٩) وأشار إلى شواهد له بها يصح الحديث ، ولذا صححه النووي في « الأذكار » (٩٣) وأما اللفظ المذكور فهو عند أبي يعلى (٤٦٩) وابن أبي شيبة (٣ / ٣٠ ، ٢ / ١٥٠) .

ﷺ قال : « لا تَجْعَلُوا يُتُوتَكُمْ قُبُورًا ، ولا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ » .

٥٥- وعن أبي طلحة الأنصاري^[١] عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْمَلِكَ جَاءَنِي فَقَالَ : يَا مُحَمَّد ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ : أَمَا تَرْضَى أَلَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ تَسْلِيمَةً إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا ؟ قُلْتُ : بلى أي رب » رواه النسائي وأبو حاتم وغيره (١) .

٥٦- وعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ / مِنْ أَفْضَلِ / ١٨٠ / أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ، فَأَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ ، قَالُوا : وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ » رواه أبو داود ، والنسائي ، وأبو حاتم في « صحيحه » (٢) .

(١) النسائي (١٢٨٢) وفي الكبرى (١١١٥) وابن حبان (٩١٥) وأحمد (٤ / ٢٩ - ٣٠) والدارمي (٢ / ٣١٧) ، وصححه الحاكم (٢ / ٤٢٠) ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في : « صحيح النسائي » (١٢٨٢) .

(٢) أبو داود (١٠٤٧ ، ١٥٣١) والنسائي (٣ / ٩١ ، ٩٢) وابن ماجه (١٠٨٥ ، ١٦٣٦) وأحمد (٤ / ٨) وصححه ابن حبان (٥٥٠) ، وإسناده صحيح ؛ ولذا صححه النووي في « الأذكار » (٩٧) .

[١] في الأصل : « لى » بدل « أبي طلحة الأنصاري » والتصويب من مصادر التخریج .

٥٧- وفي « سنن أبي داود » (١) عنه قال : « ما من مُسلم يُسَلِّم عليَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عليَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » .

٥٨- وفي النسائي وأبي حاتم (٢) عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » .

٥٩- والأحاديث في ذلك كثيرة ، وهذا مما أجمع عليه المسلمون .

٦٠- والصَّلَاة والسلام [عليه] [٣] ﷺ هي من هذا الباب ، من باب الدعاء ، والدُّعَاء مَشْرُوعٌ مِنَ الْأَدْنَى لِلْأَعْلَى ، ومن الأعلى للأدنى .

الصلاة والسلام على النبي ﷺ من باب الدعاء

٦١- والدَّاعِي إذا دَعَى لغيره أثاب الله الدَّاعِي على دُعَائِهِ ، ونفع المدعو له بالدُّعَاء ، فلم يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ مِنَّةٌ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ ؛ إذ كَانَ اللَّهُ يُصَلِّي عَلَى الْمُصَلِّي عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَيُسَلِّمُ عَلَى الْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ عَشْرًا ، فَيُعْطِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا .

(١) أبو داود (٢٠٤١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بَلَفْظُ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ .. » وَصَحَّ إِسْنَادُهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي « جَلَاءِ الْأَنْهَامِ » (١٠٨) .

(٢) رواه النسائي (٤٣ / ٣) وفي الكبرى (١١١٤ ، ٩٢٠٤) وابن حبان (٩١٤) والدارمي (٢٧٧٧) وأحمد (١ / ٢٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) ، وَصَحَّ إِسْنَادُهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي « جَلَاءِ الْأَنْهَامِ » (١٢٠) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي : « صَحِيحِ النَّسَائِيِّ » (١٢٨١) .

٦٢- فله المِنَّة على من استعمله في الصَّلَاة عليه والسلام ، ولله المنَّة على رسوله وعلى جميع عبادِه ؛ إذ نَصَبَ أسبابًا يرحمهم بها .

٦٣- والخلق كلهم فقراء إلى الله تعالى ، والله يَرْحَمُ عبادِه بما شاء من الأسباب ، فمن جَعَلَ أحدًا من الأنبياء أو غيرهم مُستغنيا عن مزيد الرحمة والرضوان وعلو الدرجات ، فهو جاهل بالله .

٦٤- وَمَنْ ظَنَ أن دُعَاء الدَّاعِي للأنبياء وصلاته عليهم - بل صلاته على المؤمنين - مِنَّةٌ مِنْهُ عليهم ؛ فهو جاهلٌ بذلك ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُهُ على عَمَلِه ولا يَظْلِمُه ، والمِنَّةُ لله عَلَى هذا وَعَلَى هذا .

دعاء
الملائكة
للمؤمنين

٦٥- ومن هذا الباب : دُعَاء الملائكة للمؤمنين وسائر الأسباب .

٦٦- بل من هذا الباب : جميع ما يعملُه العباد من القُرْب والطَّاعات ، فَإِنَّ للرسول ﷺ مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيئًا .

٦٧- كما ثبت عنه في الصَّحِيح^(١) أنه قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ

لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ^[١] أُجُور مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ

شَيْئًا ، ومن دعا إلى ضلالة / كان له من الوزرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ

مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا » .

(١) مسلم (٢٦٧٤) (١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] في الأصل : « من » والتصويب من مسلم .

٦٨- وقال ﷺ : « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا » (١) .
وهو ﷺ قد سَنَّ سُنَنَ الْهُدَى جَمِيعَهَا لِأُمَّتِهِ .

٦٩- ومن هذا الباب يبين جواب المسألة ؛ فإن القائل يقول : إذا كان إهداء القُرب إلى الموتى مَشْرُوعًا وإن كانوا فَضْلَاءَ ، فما بال السَّلف لم يكونوا يفعلون القُرب عن النبي ﷺ ولا عن الخلفاء الرَّاشدين ، بل ولا عن شُيوخهم معلِّمهم ومؤدِّيهم الذين علموهم العلم والإيمان ، والسَّلف كانوا أحرص على الخير منا فلا يمكن أن يقال : تَرَكُوهُ جَهْلًا بِهِ ، ولا رَغْبَةً عَنْهُ ؟

سؤال وجيه

(١) مسلم (١٠١٧) (٦٩) من حديث جرير قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءَ غُرَاةٍ مُجْتَائِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي الشُّيُوفِ عَائِثُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ ، فَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْقَاقَةِ ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَنْشِرِ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِيهِ ، مِنْ تَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرٍّ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ، حَتَّى قَالَ : « وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

قال : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ .
قال : ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَهْتَلِلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ » .

٧٠- وهذا هو الذي يَظْهَرُ به إشكال المسألة ؛ فَإِنَّ ما تقدم يحتج به من يَسْتَحِبُّ إهداء ثواب القُرْبَاتِ إلى النبي ﷺ ، كما ذَهَبَ إليه طائفة من الفقهاء والعباد من أصحاب أحمد وغيرهم ، وأقدم من بَلَّغْنَا ذلك عنه علي بن الموفق ^(١) أحد الشيوخ المشهورين ، كان أقدم من الجنيد وطبقته ، وقد أذَرَكَ أحمد وعصره وعاش بعده .

٧١- ومن لا يستحب - بل يَرَاهُ بدعة وهو الصَّواب المقطوع به - يحتج بأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ، وهم أعلم بالخير وأرغب ، وليس فعله ^[١] وأمثاله ، ولا قول طائفة من متأخري الفقهاء ؛ مما يُعَارِضُ به أقوال السلف ^(٢) .

(١) علي بن الموفق أبو الحسن العابد المتوفى سنة ٢٦٥ هـ . وفي « طبقات الحنابلة لأبي يعلى » قال : « وهو عزيز الحديث ، وكان ثقة » (١ / ٢٣٠) .

راجع ترجمته في : « المقصد الأرشد » (٢ / ٢٦٨) و « المنهج الأحمد » (١ / ٢٥٠) . وما نُقِلَ عنه في هذا الباب رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٠٣) من طريق أبي القاسم البزار قال : قال لي علي بن الموفق : « حججت نيقًا وخمسين حجة فجعلت ثوابها للنبي ﷺ » وراجع أيضًا : « إحياء علوم الدين » للغزالي (١ / ٢٤٢) .

(٢) وسئل الشيخ ابن العطار رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تلميذ النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هل تجوز قراءة القرآن وإهداء الثواب إليه ﷺ وهل فيه أثر ؟ فأجاب بما هذا لفظه : « أما قراءة القرآن العزيز فمن أفضل القربات ، وأما إهداؤه للنبي ﷺ فلم ينقل فيه أثر ممن يعتد به بل ينبغي أن يمنع منه لما فيه من التهجم عليه فيما لم يأذن فيه مع أن ثواب التلاوة حاصل له بأصل شرعه ﷺ وجميع أعمال أمته في ميزانه .. » . نقله في « مواهب الجليل » (٢ / ٥٤٤ ، ٥٤٥) .

[١] بالأصل : « فعل » ، ووضعت علامة « ط » إشارة لوجود خطأ ١١ وما كتبه بين المعقوفين هو الذي يوافق السياق .

رد الاحتجاج
بتوضيحية
علي عن
النسي

٧٢- وأما احتجاج المحتج بـ : توضيحية علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .

٧٣- فيقال له : هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي من حديث حنش الصنعاني قال : رأيت عليًا عليه السلام يُضَحِّي بكبشين فقلت له : ما هذا ؟ فقال : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْصَانِي أَنْ أَضَحِّي عَنْهُ فَأَنَا أَضَحِّي عَنْهُ » (١) .

وقال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

٧٤- ومثل هذا الإسناد قد يقال : لا يقوم به سنة ، فإن حنشًا تكلم فيه غير واحد ؛ قال أبو حاتم : « كان كثير الوهم » ، وشريك بن عبد الله القاضي في حديثه لين .

(١) رواه أحمد (١٠٧ / ١) وعبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١٤٩ / ١ ، ١٥٠) وأبو داود (٢٧٩٠) والترمذي (١٤٩٥) وفي العلل له (٤٤٢) والحاكم (٢٢٩ / ٤ ، ٢٣٠) وقال الترمذي : « حديث غريب » أي ضعيف ، ولذا ضعف إسناده المصنف أيضًا هنا . وحنش هو حنش بن المغيرة الكوفي صاحب علي وليس هو بحنش الصنعاني كما نُقِلَ هنا ؛ ولعله خطأ من الناسخ بدليل أن شيخ الإسلام نُقِلَ بعد ذلك عن ابن حبان قوله فيه : « كثير الوهم » ، وهو ما ينطبق على حنش بن المغيرة ففي ترجمته في « المجروحين » (١ / ٢٦٩) : « كان كثير الوهم في الأخبار ينفرد عن علي بأشياء لا تشبه حديث الثقات حتى صار ممن لا يحتج بحديثه » اهـ . وراجع أيضًا : « تحفة الأشراف » (٧ / ٣٠) و « تهذيب الكمال » (٧ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) . وقد ضعف الحديث الألباني في : « ضعيف الترمذي » (١٤٩٥) .

٧٥- وإن صحَّ هذا الحديث ؛ فإنه إنما ضحَّى عنه ﷺ بإذنه وهذا جائز .

- ٧٦- ولو لم يرد هذا الحديث / فإن الميِّت إذا أوصى أن يُضحَّى عنه / ١٨١ /
 كان كما لو أوصى أن يُحجَّ عنه ، فإنَّ الأضحية عبادة بدنية مالية كالْحج عنه ، ولو وصَّى بالصدقة عنه جاز بإجماع المسلمين .
- ٧٧- بل هذا الحديث إن صحَّ ؛ فقد يُستدلُّ به على أنهم لم يكونوا يفعلون عنه عبادة إلا بإذنه ، ولو كان مشروعاً عندهم التَّضحية عنه بدون إذنه لما أنكر ذلك على عليٍّ ، ولبيِّنَ عليٌّ أنه يشرع هذا وغيره من الأعمال عنه بغير إذنه .



٧٨- وأما احتجاجه بحديث أبي بن كعب الذي فيه : أَجْعَلُ صَلَاتِي كُلَّهَا لَكَ ؟ قال : « إِذَا تَكْفِي هَمَّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ » (١) ؟

رد الاحتجاج
بحديث أبي
ابن كعب
رضي الله
عنه

٧٩- فيقال له : ليس حَمْلُكَ لهذا الحديث على صلاته المتطوعة بأولى من حَمْلٍ غيرك له على الدُّعاء ؛ إذ قد سلَّمت أنه ليس المراد به الصلاة الواجبة ذات الركوع والسُّجود .

٨٠- فيقال له : كما لم تَدْخُلْ هذه الصَّلَاة فلا تَدْخُلْ ما كان من جنسها وهو التَّطَوُّع ، فإنهما من جنسٍ واحد ، ولم يُعرف أنَّ في السُّنَّة أن يكون جميع ما يتطوع به العبد من الصَّلَاة لغيره ، كما لم يعرف مثل ذلك في الصَّيَام والحج .

٨١- فإن قيل : يَخْصُلُ له من أَجْرِ الإهداء أكثر من ثواب التطوع ؟! قيل : فَسَوُّوا ذلك في الفريضة ، واجعلوا من الْمَسْنُون أن يهدي الرجل ثواب فرائضة لبعض المَوْتَى ، ويكون ما يحصل من ثواب ذلك أَعْظَم من أَجْرِ الفريضة مع أنَّ ذِمَّتَه بريئة . وقد تقدم : أن في إهداء ثواب الفريضة قولين في مذهب أحمد وغيره (٢) .

(١) تقدم تخريجه ص (٣٠) .

(٢) راجع ما تقدم ص (٣٣ ، ٣٤) .

مراد من
جوز إهداء
العبادات
البدنية

٨٢- والذين جَوَّزُوا ذلك قالوا : الْفَرَضُ له مقصودان : براءة الذُّمة
باندفاع العقاب ، وَحُصُول الأجر والثواب .

٨٣- فَأَمَّا براءة الذُّمة ؛ وهو الذي امتاز به عن النافلة ؛ فلا يمكن
إهداءه ، وَأَمَّا الأجر ؛ وهو المشترك بينهما ؛ فيمكن إهداءه .

٨٤- ولا ريب أن الحديث لا يمكن حمله على الصَّلَاة عليه ، كما
ذكر السائل ؛ بقي المفهوم الثالث : وهو الدُّعاء .

تفسير
الصلاة في
حديث أبي
بالدعاء

٨٥- فَإِنَّ الصَّلَاةَ عند^[١] أهل اللغة : الدُّعاء .

كما قال تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

٨٦- فيكون هذا السائل له دعاء يدعو به لنفسه ، فيمكن أن يجعل
ثلثه دُعاء للنبي ﷺ ، فالصَّلَاة عليه صلاة ، ويمكنه أن له شطره
ويمكن أن يكون / جميع دعائه دعاء للنبي ﷺ مثل أن يُصَلِّي عليه / ١٨١٥ /
بَدَل دُعَائِهِ .

٨٧- وقد ثبت أنه من صَلَّى عليه مرة صَلَّى الله عليه عَشْرًا^(١) ، فيكون
أجر صلاته كافيًا له ؛ ولهذا قال : « تَكْفِي هَمَّكَ وَيَغْفِر ذَنْبَكَ » .

(١) تقدم الحديث في ذلك ص (٤٤) .

[١] في الأصل « من » والصواب يستقيم السياق .

٨٨- أي : أنك إنما تطلب زوال سبب الضرر الذي يعقُب الهَم ويوجبُ الذنب ، فإذا صَلَّيت عليّ بدل دُعَائِكَ حَصَلَ مَقْصُودُكَ .

٨٩- وهذا مَعْنَى مُنَاسِب ، فإنه قد ثبت : « أن من دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهَر الغيب بدعوة قال الملك الموكَّل به : آمين ولك بمثل (١) » .

٩٠- وثبت عنه أنه قال : « واللَّهُ في عَوْن العَبْد مَا كَانَ العَبْد في عَوْن أَخِيهِ » (٢) .

٩١- فإذا كان بدل دعائه لنفسه يَدْعُو للنبي ﷺ حَصَلَ لَهُ أَعْظَمُ مَا كَانَ يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ .



(١) تقدم تخريجه ص (٤٢) .

(٢) مسلم (٢٦٩٩) (٣٨) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ يَشْرَ عَلَى مُغْسِرٍ يَشْرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهِمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

رد الاحتجاج
بحديث البر
بعد البر أن
تصلي
لأبيك

٩٢- واحتججه بحديث الدارقطني ؛ يقال له : إنما في الحديث فعل العبادات عن الوالدين ، وهذا في العبادات المالية مُتَّفَقٌ عليه بين الأئمة ، وإنما تنازعوا في النذر .

٩٣- وقد ذكر مسلم في « صحيحه »^(١) عن أبي إسحاق الطالقاني قال : قلت لعبد الله بن المبارك : الحديث الذي جاء في البر بعد البر أن تُصَلِّيَ لأبيك مع صَلَاتِكَ ، وتصومَ لهما مع صيامك . قال : فقال عبد الله : يا أبا إسحاق عمَّن هذا ؟

قلت له : من حديث شهاب بن خراش .

قال : ثقة . عمَّن ؟

(١) مقدمة مسلم (١ / ١٦) .

وقال النووي رحمته الله : « معنى الحكاية أنه لا يقبل الحديث إلا بإسناد صحيح . وقوله « مفاوز » جمع مفازة وهي الأرض القفر البعيدة عن العمارة وعن الماء التي يخاف الهلاك فيها ، قيل : سميت مفازة للتفاؤل بسلامة سالكيها كما سموا اللديغ سليماً ، وقيل : لأن من قطعها فاز ونجا ، وقيل : لأنها تُهْلِك صاحبها ؛ يقال : فوز الرجل إذا هلك . ثم إن هذه العبارة التي استعملها هنا استعارة حسنة ؛ وذلك لأن الحجاج بن دينار هذا من تابعي التابعين فأقل ما يمكن أن يكون بينه وبين النبي ﷺ اثنان التابعي والصحابي ؛ فلهذا قال : « بينهما مفاوز » أي انقطاع كثير .

وأما قوله : « ليس في الصدقة اختلاف » فمعناه أن هذا الحديث لا يحتج به ولكن من أراد بر والديه فليصدق عنهما فإن الصدقة تصل إلى الميت ويتنفع بها بلا خلاف بين المسلمين .. »

« شرح النووي لمسلم » (١ / ٨٩) .

قلت : عن الحجاج بن دينار .

قال : ثقة . عمَّن ؟

قلت : قال رسول الله ﷺ .

قال : يا أبا إسحاق ! إنَّ بين الحجاج بن دينار ورسول الله مَفَاوِزَ
تقطع فيها أعناق المطيِّ ، وليس في الصَّدقة خلاف .



٩٤- ولو احتج في هذا الباب بحديث عمرو لكان أقوى ؛ كما في « مسند أحمد » (١) عن عبد الله بن عمرو أن [أ] العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن يذبح مائة بدنة ، وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين ، وأن عمراً سأل النبي ﷺ عن ذلك ؟ فقال : « أمّا أبوك فلو أقر بالتوحيد فضمت أو تصدقت عنه نفعه ذلك » .

٩٥- وقد رواه أبو داود (٢) ولفظه : « لو كان مسلماً فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه أو حجبتم عنه نفعه ذلك » .

وهذا اللفظ إنما فيه الأعمال المالية .

رد احتجاج
بعض
المتأخرين

٩٦- وقد احتج بعض المتأخرين من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما بأحاديث رويت فيمن مرّ على القبور فقرأ كذا وكذا ؛ وليس فيها / ما يُعتمد عليه [ب] في إثبات الأحكام الشرعية .

/ ١٨٢ /

(١) أحمد (١٨٢ / ٢) وابن أبي شيبة (٣ / ٣٨٦ ، ٣٨٧) وإسناده حسن .

(٢) أبو داود (٢٨٨٣) والبيهقي (٢٧٩/٦) وأحمد (٦٧٠٤) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن وائل أوصى أن يُعق عنه مائة رقبة ، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة ، فأراد ابنه عمرو أن يُعق عنه الخمسين الباقية ؛ فقال حتى أشأ رسول الله ﷺ ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبي أوصى بعق مائة رقبة ، وإن هشاماً أعتق عنه خمسين وتبيّت عليه خمسون رقبة فأعتق عنه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنّه لو كان مسلماً فأعتقتم عنه ، أو تصدقتم عنه ، أو حجبتم عنه ؛ بلغه ذلك » . وقال الألباني : « إسناده حسن » ، أحكام الجنائز ، ص (٢١٨) .

[ب] في الأصل : « عليها » .

[أ] في الأصل : « بن » ، والصواب من السند :

٩٧- وقد قدّمنا : أنه ثبت بالسُّنَّة الصَّحِيحة الصَّرِيحة التي لا
مُعَارَض لها : أَنَّ الْوَلِيَّ يَصُومُ عَنِ الْمَيْتِ الصَّوْمِ الَّذِي
نَذَرُهُ (١) كَمَا يُحَجُّ عَنْهُ .

(١) وقد رأيت أن أنقل مبحثًا جيدًا للحافظ ابن القيم في أن هذا القول هو الصواب قال رحمته الله :
« وقد اختلف أهل العلم فيمن مات وعليه صوم هل يقضى عنه ؟ على ثلاثة أقوال :
أحدها : لا يقضى عنه بحال لا في النذر ولا في الواجب الأصلي .
وهذا ظاهر مذهب الشافعي ومذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابه .
الثاني : أنه يُصَام عنه فيهما ؛ وهذا قول أبي ثور وأحد قولي الشافعي .
الثالث : أنه يُصَام عنه النذر دون الفرض الأصلي .
وهذا مذهب أحمد المنصوص عنه ، وقول أبي عبيد والليث بن سعد ، وهو المنصوص عن ابن
عباس ، روى الأثرم عنه : أنه سئل عن رجل مات وعليه نذر صوم شهر وعليه صوم رمضان ؟
قال : « أما رمضان فليطعم عنه ، وأما النذر فَيُصَام » .
وهذا أعدل الأقوال وعليه يدل كلام الصحابة ، وبهذا يزول الإشكال .
* وتعليل حديث ابن عباس أنه قال : « لا يصوم أحد عن أحد ويطعم عنه » ؛ فإن هذا إما هو في
الفرض الأصلي ، وأما النذر فيصام عنه كما صرح به ابن عباس ولا معارضة بين فتواه وروايته .
وهذا هو المروي عنه في قصة من مات وعليه صوم رمضان وصوم النذر ، فرق بينهما فأفتى
بالإطعام في رمضان وبالصوم عنه في النذر فأبي شيء في هذا مما يوجب تعليل حديثه .
* وما رُوي عن عائشة من إفتائها في التي ماتت وعليها الصوم : أنه يطعم عنها إما هو في الفرض
لا في النذر ؛ لأن الثابت عن عائشة فيمن مات وعليه صيام رمضان أنه يطعم عنه في قضاء
رمضان ولا يصام . فالمنقول عنها كالمقول عن ابن عباس سواء ، فلا تعارض بين رأيها وروايتها .
* وبهذا يظهر اتفاق الروايات في هذا الباب وموافقة فتاوي الصحابة لها ، وهو مقتضى الدليل
والقياس لأن النذر ليس واجبا بأصل الشرع وإما أوجبه العبد على نفسه فصار بمنزلة الدين الذي
استدانته ولهذا شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالدين في حديث ابن عباس ، والمسؤول عنه فيه أنه كان صوم نذر
والدين تدخله النيابة ، وأما الصوم الذي فرضه الله عليه ابتداء فهو أحد أركان الإسلام فلا
يدخله النيابة بحال كما لا يدخل الصلاة والشهادتين فإن المقصود منها طاعة العبد بنفسه =

٩٨- وقد جاء ذكرهما في حديث صحيح رواه « مسلم » وغيره^(١) عن بريدة بن الحصيب : أَنَّ امرأةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فقالت : إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وعليها صَوْم شهر ، أَفَيُجْزَى - أو يَقْضَى - أنْ أَصُوم عنها ؟ قال : « نعم » .

٩٩- وفي رواية^(٢) : وَعَلَيْهَا صَوْم ، أَفَأَصُوم عنها ؟

قال : « صُومِي عنها » .

قالت : يا رسول الله ! إِنَّهَا لم تَحْجْ ؟

فقال : « حُجِّي عنها » .

= وقيامه بحق العبودية التي تُخَلِّقُ لها وأَمِرُ بها ، وهذا أمر لا يؤديه عنه غيره كما لا يسلم عنه غيره ولا يصلي عنه غيره وهكذا من ترك الحج عمداً مع القُدرة عليه حتى مات أو ترك الزكاة فلم يخرجها حتى مات فإن مقتضى الدليل وقواعد الشرع أن فعلهما عنه بعد الموت لا يرى ذمته ولا يقبل منه والحق أحق أن يتبع . وسر الفرق : أن النذر التزام المكلف لما شغل به ذمته لا أن الشارع ألزمه به ابتداء فهو أخف حكماً مما جعله الشارع حقاً له عليه شاء أم أبى ، والذمة تسع المقدور عليه والمعجوز عنه ، ولهذا تقبل أن يشغلها المكلف بما لا قدرة له عليه بخلاف واجبات الشرع فإنها على قدر طاقة البدن لا تجب على عاجز فواجب الذمة أوسع من واجب الشرع الأصلي ؛ لأن المكلف متمكن من إيجاب واجبات واسعة وطريق أداء واجبها كثيرة على نفسه لم يوجبها عليه الشارع ، والذمة أوسع من طريق أداء واجب الشرع ، فلا يلزم من دخول النيابة في واجبها بعد الموت دخولها في واجب الشرع ، وهذا يبين أن الصحابة أفقه الخلق وأعمقهم علماً وأعرفهم بأسرار الشرع ومقاصده وحكمه وبالله التوفيق » « تهذيب السنن » (٧ / ٣٧ ، ٣٨) .

(١) مسلم (١١٤٩) (١٥٨) .

(٢) مسلم (١١٤٩) (١٥٧) .

١٠٠- ولا يقال : هذا مُخْتَصٌّ بِالْوَلَدِ ؛ ففي « الصحيحين » (١) عن ابن عباس : أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُخْتِي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟

قال : « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُخْتِكَ دَيْنٌ ، أَكُنْتَ تَقْضِيهِ ؟ » .

قالت : نعم . قال : « فَحَقُّ اللَّهِ أَحَقُّ [أَنْ يُقْضَى] ^[١] » .

١٠١- وفي رواية (٢) : أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتْ فِي الْبَحْرِ فَتَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا ، فَأَنْجَاهَا اللَّهُ ، فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ ، فَجَاءَتْ قَرَابَةُ لَهَا

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ فَقَالَ : « صُومِي عَنْهَا » .

١٠٢- وَأَيْضًا : فَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (٣) : « صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ »

يَتَنَاوَلُ الْوَلَدَ وَغَيْرَهُ مِمَّنْ يَكُونُ وَلِيًّا لِلْمَيِّتِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الْحُكْمُ مُخْتَصٌّ بِالْوَلَدِ .

(١) البخاري (١٩٥٣) ومسلم (١١٤٨) (١٥٤) وعندهما : « إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ » وأما اللفظ الذي أورده المصنف « إِنَّ أُخْتِي مَاتَتْ » فهو رواية للبخاري أيضًا (١٩٥٣) .

(٢) رواها أبو داود (٣٣٠٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتْ الْبَحْرَ ، فَتَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا ، فَتَجَّاهَا اللَّهُ ، فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ ، فَجَاءَتْ ابْنَتُهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا . وراجع : « صحيح أبي داود » للألباني (٣٣٠٨) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٣٤) .

[١] ما بين المقربين زيادة من الصحيحين يستقيم بها السياق .

شرح حديث
إذا مات ابن
آدم انقطع
عمله إلا من
ثلاث

١٠٣- وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح (١) : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » .

١٠٤- فهنا خَصَّ الولد بالذكر لأنه استثناه من عمل الميت ، وولده من كسبه ، كما قال تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾ [المسد : ٢] ، وإن ولده من كسبه .

١٠٥- وقد قال ﷺ للرجل الذي قال له : إِنَّ أَبِي أَرَادَ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي ؟ فقال : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » (٢) .

(١) رواه مسلم (١٦٣١) (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وللحافظ ابن رجب رسالة مفردة في شرحه ، وهي مطبوعة .

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٩١) . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « وهو حديث أخرجه ابن ماجه من حديث جابر ، قال الدارقطني : غريب تفرد به عيسى بن يونس بن أبي إسحاق ، ويوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق عن ابن المنكير . وقال ابن القطان : إسناده صحيح .

وقال المنذري : رجاله ثقات . وله طريق أخرى عن جابر عند الطبراني في الصغير والبيهقي في الدلائل فيها قصة مطولة . وفي الباب عن عائشة : في صحيح ابن حبان .

وعن سبرة ، وعن عمار ، كلاهما عند البراء . وعن ابن مشعود : عند الطبراني . وعن ابن عمار : عند أبي يعلى .

فمجموع طرقه لا تحطه عن القوة ، وجواز الاحتجاج به ، فتعين تأويله ، اهـ . « فتح الباري » (٥ / ٢١١) .

١٠٦- وقد قال تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ
الذَّكَورَ ﴾ [الشورى : ٤٩] فجعل الولد مؤهوباً للوالد ، وجعل بنت
الولد بنت الرجل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ
بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾^[١] [النور : ٦١] .

١٠٧- ولم يذكر بيوت الأولاد ، لأن بنت ولدك بنتك ، وهذا الحكم
مختص بالأب فإنه المولود له ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ
لَهُ / رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

/ ١٨٢٥ /

١٠٨- فلما كان الولد من كسب الوالد استثناه من عمله المنقطع
كما استثنى ما ينفق من الصدقة والعلم النافع .

١٠٩- وهذا مما احتج به من يقول : إن مال الإبن للوالد بمنزلة المباح
فيهلك منه ما لا يضر بولده .

١١٠- وهذا الحديث لا يدل على أن غير الولد لا ينفع دعاءه للميت ، فإن
هذا خلاف إجماع المسلمين ، إذ هم متفقون على أن الدعاء والصلاة
على الميت ينتفع بها ، سواء كانت من ولده أو من غير ولده .

١١١- فهذا بيان أن الحكم لا يختص بالولد أن ذلك لوجوب
حقهما ، فلا حاجة إلى تعليل ذلك بوجوب حقهما .

[١] في الأصل : وقت الآه هكذا : (لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) ١١

استدلال
ضعيف على
مسألة
الإهداء للنبي

١١٢- وَأَمَّا جَوَابُهُ لِمَنْ قَالَ لَهُ : النَّبِيُّ قَدْ دَعَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، فَلَهُ أَجْرٌ مِنْ أَتْبَعِهِ ؛ فَإِنَّ الْوَحْدَانِيَّةَ لِلَّهِ حَقٌّ ثَابِتٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ ، وَنَحْنُ نَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشِقِّ تَمْرَةٍ !؟

١١٣- فَهَذَا مِثْلُ ضَعِيفٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لِلَّهِ مَلِكٌ لَهُ ؛ إِذْ هُوَ خَالِقُهَا وَرَبُّهَا وَمَلِيكُهَا ، ﴿ وَكَأَنَّهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

١١٤- وَهَذَا الْمَلِكُ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ثَوَابُ الْعِبَادِ وَلَا عِقَابُهُمْ وَلَا وَعْدُهُمْ وَلَا وَعِيدُهُمْ ، فَإِنْ هَذَا حَكْمُ رَبوبيته الشَّامِلَةِ وَقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ الَّتِي تَتَنَاوَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَالْبَرَّ وَالْفَاجِرَ .

١١٥- وَأَمَّا تَقَرُّبُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَهُوَ بِالْفِعْلِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ لَهُمْ وَهَذَا مِمَّا افْتَرَقُوا فِيهِ ؛ فَبَعْضُ الْعِبَادِ آمَنَ بِهِ وَعَبَدَهُ وَأَطَاعَهُ وَفَعَلَ مَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَبَعْضُهُمْ كَفَرَ بِهِ وَفَسَقَ وَعَصَى ؛ وَكِلَاهُمَا يَتَنَاوَلُهُ حَكْمُ رَبوبيته وَقَضَاءُهُ وَقُدْرَتُهُ .

١١٦- وَالَّذِي يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشِقِّ تَمْرَةٍ إِذَا أَقْرَضَهُ قَرْضًا حَسَنًا لَمْ يَدْخُلْ فِي مَلِكِهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ ، بَلْ جَمِيعُ مَا بَذَلَهُ ، بَلْ هُوَ وَفَعَلَهُ وَقُدْرَتُهُ دَاخِلٌ فِي مَلِكِ الرَّبِّ وَقُدْرَتِهِ ، سِوَاءِ كَانَ الْمُبْذُولُ مِنْ رِضَاهُ أَوْ سَخَطِهِ ، لَكِنْ يَبْذُلُهُ فِي الْجِهَةِ الَّتِي يَحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا ، صَارَ الْعَبْدُ

مُستوجباً لما وعده في تلك الجهة ، كما أن حركات بدنه هي مخلوقة له على كل حال ، فإن كانت حركة يحبها ويَرْضَاهَا أثابه عليها ، وإن كانت حركة يكرهها ويسخطها عاقبه عليها .

١١٧- وهذا يَتَعَلَّقُ بحكم الهيئة وأمره الديني الشرعي الذي هو الفارق بين أوليائه وأعدائه .

الأمر الديني
الشرعي هو
الفارق بين
أوليائه
وأعدائه

١١٨- قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم : ٣٥] .

١١٩- وقال تعالى : ﴿ أَمْ / حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَحْيُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

١٢٠- وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] .

١٢١- والأول يَتَعَلَّقُ بحكم ربوبيته وأمره الكوني الشامل لوليه وعدوه

كما قال : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] .

١٢٢- وقد بَسَطْنَا الكلام على هذا المقام الذي ضَلَّتْ فيه أُمَمٌ من الأنام

وبيَّنا الفرق بين كلماته الدينية والكونية ، وإرادته الكونية والدينية

[١] في الأصل ولعت بداية الآية خطأ : (أفنجعل) بدل (أم نجعل) ١١

وإذنه الكوني والديني ، وكذلك حُكْمه وأمره وتحريمه وبعثه وإرساله ، والفرق بين الحقيقة الكونية التي يُقَرُّ بها المشركون وهي الحقيقة القدرية ، وبين الحقيقة الدينية التي يختص بها المؤمنون^(١) وكيف اشتبه على كثير من الخائضين في الحقيقة هذا الباب بهذا الباب ، حتى لم يُفَرِّقوا بين الهدى والضلال ، والرَّشاد والغَيِّ والخطأ والعذاب ، بل آل الأمر بكثير منهم إلى أنهم لم يفرقوا بين الخالق والمخلوق ، حتى دَخَلُوا في الحلول والاتحاد الذي هو من أعظم الكفر وأكبر الإلحاد !؟

١٢٣- فالأشياء التي هي لله إذا جعلناها له وتَقَرَّبنا بها إليه بحكم ربوبيته فليست هذه الإضافة تلك الإضافة ؛ فإنَّ تلك الإضافة إضافته بِحُكْمِ رُبُوبِيَّتِهِ ، وهذه إليه بِحُكْمِ أُلُوهِيَّتِهِ .

١٢٤- كما أن لفظ « العبد » يعني به المُعْبَد ، فجميع الخلق عباد الله بهذا الاعتبار حتى الكفار والفجار .

١٢٥- قال تعالى : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

١٢٦- وقد يعني به العابد ؛ فيختصُّ به المؤمنون الأبرار .

لفظ العبد
وماذا يراد به

١٢٧- كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَتَشَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ [الإسراء : ٦٥] .

١٢٨- وقال الشيطان : ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَاغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [ص : ٨٢ ، ٨٣] .

١٢٩- وقال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٦] .

١٣٠- وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

١٣١- وقال : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] .

١٣٢- وقال : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] .

١٣٣- وبهذا يظهر الفرق بين قوله : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي ﴾ [الحج : ٢٦] .

وقوله : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس : ١٣] / وبين سائر البيوت

والتوق ؛ فإن سائر البيوت والتوق وإن كانت ملكاً لله لكن ليست

محل عبادته وطاعته والصلاة له^[أ] كالمساجد التي هي بيوت عبادته

لا سيما المسجد الحرام الذي هو بيت الطواف^[ب] والعكوف

وتضعيف [الثواب] ^[ج] .

[أ] في الأصل : عليه ، ١١

[ب] في الأصل : بيت الطواف بيته ، ١١

[ج] يبايض بالأصل ، وما بين المقوفين زيادة يستقيم بها السياق .

الإضافة
العامة
والإضافة
الخاصة

١٣٤- فالإضافة العامة بحكم الربوبية الخلقية ، وهذه الإضافة الخاصة بحكم الألوهية الأمرية .

١٣٥- وكذلك : « الثاقبة » التي جعلها آية له وجعلها من شعائره وحُرُماته التي يجب تعظيمها .

١٣٦- فالفرق بين هذا البيت وبين الكنيسة مثلاً كالفرق بين المؤمن الذي هو عبد الله ، والكافر الذي هو خلقه ، وهو مُعَبَّد له وإن كان لا يَعْبُدُه .

١٣٧- وكذلك : قوله عز وجل : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١] . وقوله : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

١٣٨- فإضافة الأنفال والخُمُس إليه كالإضافة العامة الثانية لكل مخلوق ، كقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [آل عمران : ١٠٩] .

١٣٩- بل هذه الإضافة بحكم أمره ودينه الذي بعث به رسوله ، ولهذا قرَن هذا بالرَّسُول ؛ فإن أمره الذي أمر به ما يحبه ويرضاه هو ما جاء به الرسول .

١٤٠- وهذه الأموال الشرعية التي يحكم بها بأمر الله ورسوله ليس كالأموال التي ملكها لعباده ولهم أن يفعلوا فيها ما أحبوا إذا لم يكن مُحَرَّمًا .

١٤١- ولهذا قال ﷺ : « إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِي أَحَدًا وَلَا أَمْنَعُ أَحَدًا ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضْعُ حَيْثُ أُمِرْتُ » (١) .

١٤٢- وهذا باب قد نبهنا على أَضْلِهِ وَبَيَّنَّا الْفَرْقَ بَيْنَ النَّوعَيْنِ .

١٤٣- وإذا كان كذلك ؛ ظَهَرَ ضِعْفُ الْقِيَاسِ الَّذِي قَاسَهُ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ إِذَا عَمِلَ الْمُؤْمِنُ مِنْ أَمْرِهِ عَمَلًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، فَإِذَا أَهْدَى لَهُ ثَوَابَهُ ، فَإِنَّمَا أَهْدَى لَهُ مِثْلَ مَا حَصَلَ لِلرَّسُولِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ وَهُمَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ وَمَقْدَارٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا مَلَكَهُ الرَّبُّ لِعِبَادِهِ إِذَا أَنْفَقُوهُ فِي طَاعَتِهِ ، فَلَيْسَ كَوْنُهُ أَنْفَقَ حَيْثُ يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِثْلَ كَوْنِهِ مَمْلُوكًا مَلَكًا قَدَرَهُ وَقَضَاهُ .

١٤٤- يُبَيِّنُ هَذَا : أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ هُوَ يَمْلِكُ الْأَمْوَالَ الْمُحَرَّمَةَ فِي الشَّرِيعَةِ فَالظَّالِمُ وَالْغَاصِبُ إِذَا أَخَذَ مَالًا ؛ فَاللَّهُ هُوَ أَيْضًا مَالِكُهُ ، وَقَدْ مَلَكَهُ إِيَّاهُ قَدَرًا ، لَا شَرْعًا وَدِينًا ، وَلَوْ / أَنْفَقَ مِنْهُ لَمْ يَتَقَبَّلِ اللَّهُ مِنْهُ .

/ ١٨٤ /

(١) البخاري (٣١٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٤٥- كما قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ بَغَيْرِ طَهْوَرٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ » رواه مسلم وغيره^(١) .

١٤٦- فالنَّفَقَةُ المقبولة لا بد أن تكون من مَالٍ أُذِنَ فِي إنْفَاقِهِ شَرْعًا ، لا يكفي الإِذْنُ الْقَدْرِيُّ الكوني .

١٤٧- واسم « الرزق » في كتاب الله :

يُرَادُ بِهِ : ما ملك شرعًا .

ويُرَادُ بِهِ : ما يَتَنَعَّمُ بِهِ الْحَيِّ .

١٤٨- فالأَوَّلُ : يَخْتَصُّ بِالْحَلَالِ .

والثاني : يتناول كل ما ينتفع به الحيوان وإن [كان]^[١] مما لا

يملك ، كالبهائم وإن كان حرامًا .

١٤٩- فالأَوَّلُ : كقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] .

١٥٠- والثاني : كقوله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

١٥١- و « القدرية » مَنَعُوا أَنْ يَكُونَ الْحَرَامُ مَرْزُوقًا بِنَاءً عَلَى أَضْلِهِمْ فِي

(١) مسلم (٢٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

[١] ما بين المقولتين زيادة يستقيم بها السياق .

أن الله لم يخلق أفعال العباد ؛ فتناول العبد له ليس عندهم مقدوراً لله ، ولا هو ملكه إيّاه . وهو قول باطل^(١) .

١٥٢- فإن قيل : ما ذكره المعترض عليه - من كون النبي ﷺ له مثل أجور أمته فلا حاجة إلى الإهداء !! - ضعيف من وجهين :

اعتراض
والجواب
عنه من
وجهين

أحدهما : أن الابن من كسب أبيه ، ودُعاه مُستثنى من عمله المنقطع ، ومع هذا فالابن يتصدق عن أبيه بالسنة والإجماع وكذلك يحج عنه ، بل ويصوم عنه بالسنة الصحيحة .

الثاني : أن النبي ﷺ إذا حصل له مثل أجر العامل من أبيه أمكن أن يحصل له مثل ذلك أيضاً بطريق الإهداء إليه ، فلا منافاة بين الأمرين .

١٥٣- قيل : عن الأول من وجهين :

أحدهما : أن النبي ﷺ لم يجعل للأب مثل عمل جميع أمته ولا يعلم دليلاً على ذلك ، وإنما جعل ما يدعوه الابن له من عمله الذي لا ينقطع ، بخلاف الداعي إلى هدى كان له حصل له مثل أجر المدعو .

١٥٤- وهذا الفرق ظاهر ؛ وهو أن الداعي إلى هدى أراد إرادة جازمة

فعل ذلك الهدى بحسب قُدْرته ، وهو لم يقدر إلا على الأمر به والدعاء إليه ، ومن أَرَادَ عَمَلًا إرادة جازمة وعمل منه ما يقدر عليه كان بمنزلة العامل له - كما قد بَسَطْنَا هذه المسألة في غير هذا الموضع^(١) ، وبيننا فَضْل الخطاب فيما تنازع الناس فيه من الإرادة ونحوها من أعمال القلوب إذا لم يدرأ به من / عمل الجوارح ، هل / ١٨٤ / يترتب عليه عقاب أم لا ؟

١٥٥- فمن الناس مَنْ جزم بالأول ، ومنهم من جزم بالثاني ، وقد يَخْكِى ذلك إجماعًا .

١٥٦- واحتج هؤلاء بأحاديث الهم^(٢) ونحوها .

(١) راجع : « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٧٣٥ ، ٧٣٦) .

(٢) ومنها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالشَّيْئَاتِ ثُمَّ يَمُنُ ذَلِكَ ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِشَيْئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » رواه البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) () .

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : « فهذا التقسيم هو في رجل يمكنه الفعل ولهذا قال : « فَعَمِلَهَا » فلم يعملها » ومن أمكنه الفعل فلم يفعل لم تكن إرادته جازمة فإن الإرادة الجازمة مع القدرة مستلزمة للفعل كما تقدم أن ذلك كاف في وجود الفعل وموجب له إذ لو توقف على شيء آخر لم تكن الإرادة الجازمة مع القدرة تامة كافية في وجود الفعل ، ومن المعلوم المحسوس أن الأمر بخلاف ذلك ولاريب أن الهم والعزم والإرادة ونحو ذلك قد يكون جازما لا يتخلف عنه الفعل إلا للعجز وقد لا يكون هذا على هذا الوجه من الجزم » « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٧٣٦) .

١٥٧- وهؤلاء بقوله : « إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » (١) .

١٥٨- وقوله : « فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ » (٢) ونحوهما .

١٥٩- وقد يَبَيَّنُ أَنَّ الإرادة الجازمة لا بد أن يدرأ بها من عمل الجوارح ما يقدر عليه العبد ، وحينئذ فيترتب عليها العقاب ، كالذي يَهْمُ بالذي يَتَمَنَّى وينظر ويفعل بعض المحرمات ويترك الباقي عجزاً كالذي أراد قتل أخيه بذل مقدوره في قتله حتى قتل ، بخلاف مَنْ هَمَّ ولم يفعل مقدوره ، كالذي هم بِسَيِّئَةٍ ولم يفعلها أصلاً ، فهذا لا تكون إرادته جازمة .

(١) البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨) (١٤) عَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقَيْتِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ . قَالَ : ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيفَيْهِمَا قَاتِلًا وَمَقْتُولًا فِي النَّارِ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » .

(٢) الترمذي (٢٣٢٥) وقال : « حسن صحيح » وابن ماجه (٤٢٢٨) وأحمد (٢٣٠ / ٤) عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَمَّارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ :

- ١- رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ .
- ٢- وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ .
- ٣- وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخْطُبُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ .
- ٤- وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ .

١٦٠- وكذلك قوله : « فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ » ، و « هما في الوزر سواء » ؛ لأن كلاً منهما قال بلسانه : « لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَا لِفُلَانٍ لَفَعَلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ » ، فلما أراد إرادة جازمة ، وفعل مقدوره صار كالفاعل .

١٦١- والله تعالى في كتابه ذكر الفعل ، وذكر ما يتولد عنه ، وجعله من عمل العبد .

١٦٢- كما في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .
فهذه الأمور لم يفعلوها .

١٦٣- ثم قال : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ١٢١] .

١٦٤- فالإنفاق وقطع الوادي نفس عملهم فُكِّتَبَ ، وما تقدم أثر عملهم الصالح ، فُكِّتَبَ لهم به عمل صالح ، كدعاء الولد فإنه أثر عمل الوالد ، وإن كان الوالد لم يَقْصُدْ دعاءه ، كما لم يقصد هؤلاء ما حَصَلَ من الظمأ والمخمصة والنصب .

١٦٥- وأما الداعي إلى الهدى ؛ فهو قصد هدي المذغوثين ولم يفعلوا ما أمرهم به ، وبذل مقدوره في فعلهم ، فصار قاصداً للفعل عاملاً ما يقدر عليه في حصوله ، فله أجرُ الفاعل .

١٦٦- وكذلك من سنَّ سنةً حسنةً ومن سنَّ سنةً سيئةً ، والبيان للفعل الذي هو رسمه ليحتذى ، فهو يقصد أن يتبع فيه .

١٦٧- فإن قيل : فقد ثبت في « الصحيحين »^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تَقْتُلْ نَفْسَ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » ، وهو لم يقصد / أن يقتل كل قاتل ؟!

/ ١٨٥ /

قيل : هو ﷺ لم يَقُلْ هنا أَنَّ عليه مثل ألم كل قاتل ، بل قال : « عليه كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا » ؛ لأن ذلك من أثرِ فِعْلِهِ كما كتب ابتداءً بهذا الفعل .

١٦٨- وقد قال تعالى في حق أئمة الكفر : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ١٢ ، ١٣] .

(١) البخاري (٣٣٣٦) ومسلم (١٦٧٧) (٢٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

١٦٩- وقال : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] .

١٧٠- فما تَوَلَّدَ عن فِعْلِ العبدِ يَحْصُلُ له منه ثواب وعقاب وإن لم يقصده ، ولكن حُصُولُ مثل أجر العامل فرع أخص من ذلك .

١٧١- الجواب الثاني : وهو من الوجه الثاني ؛ بأن يقال : إذا كان النبي ﷺ يَحْصُلُ له مثل أجر العامل ، فأهدى له العامل عملاً فلا بد أن يُثَابَ العامل على إهدائه ، فيكون للنبي ﷺ بمثل إهداء الثواب أيضاً .

١٧٢- فإهداء هذا الثواب إن جَوَّزَ لزم التسلسل ، وإن لم يجوز فما الفرق بين عمل وعمل ، بخلاف الولد إذا أَبَرَّ والده بِدُعَاءٍ أو صَدَقَةٍ عنه أو نحو ذلك ، فإن الله يُثِيبُ الولد على ذلك ، ولا يلزم أن يحصل للوالد مثل أجر الابن وإِحْسَانُهُ إلى أبيه ؛ لأن الأب لم يَدْعُهُ إلى هذا الإحسان ، ولا يلزم مَنْ صَلَّى منا أو سَلَّمَ عليه بأن الله يُصَلِّيَ على المصليِّ عَشْرًا وَيُسَلِّمَ على المسلم عَشْرًا وَيَحْصُلُ للرسول مثل ذلك لِإِدْعَائِهِ إلى هذا الهدى ، ولا يُفْضِي إلى هذا التسلسل ، فإن هذا الأجر ليس من عَمَلِ المصلي بخلاف ما إذا أهدي الثواب ، فإن إهداء الثواب عمل ، فيلزم أن يَحْصُلَ له مثله فإن جَوَّزْنَا أن يهدي ثواب الإهداء لزم التسلسل !!

الجواب
الثاني من
الوجه الثاني

إهداء هذا
الثواب إن
جَوَّزَ لزم
التسلسل

١٧٣- فنحن بين أمرين :

إمّا أن نقول : يهدي إليه عمل ؛ فيلزم أن يهدي إليه ثواب الإهداء وهَلُم جَزَاً أم يلزم التَّسْلُسُ .

أو يقول : لا يهدي إليه ، بل مَا حَصَلَ له من الأجر المُساوي لأجر العامل هو غاية المقصود . وعلى هذا لا يحصل التَّسْلُسُ .

١٧٤- وعلى هذا فيقال : لا يُهدى إلى من له مثل ثواب العامل ، كالنبي ﷺ وكالمعلم للخير من الشيوخ ونحو ذلك .

١٧٥- / ١٨٥ ط / وهذا موافق لطريقة / السلف في كونهم لم يكونوا يهدون لمثل هؤلاء ، لا ثواب العبادات البدنية ولا المالية .

١٧٦- وأما تَضْحِيَةٌ علي عن النبي ﷺ إِنْ صَحَّ ذلك ؛ فإنه كان يأذنه كما لو وَصَّى بصدقة وغيرها فإنها تُنْفَذ باتفاق المسلمين ، فَإِنَّ الوَصِيَّ بمنزلة الوكيل في ذلك ، والمُوصِي هو العامل لذلك في الحقيقة ، كالمستنيب في إيتاء الزَّكَاة وفي ذبح الأضحية وغير ذلك فليس هذا من هذا ، وإنما كانوا يدعون لهم .

تضحية علي
عن النبي
ﷺ كانت
بإذنه ﷺ

١٧٧- ولكن يقال : هب أن هذا مُشْتَقِيم في ما يعملُه الإنسان لنفسه من الفرائض والنوافل ، فإذا أنشأ عملاً آخر ليجعل ثوابه لهم

فما المانع من ذلك من العبادات البدنية والمالية ؟ وهلا كان السلف يتصدقون ويحجون ويعتصرون ويذبحون عن أئمتهم الذين علّموهم الدّين ، وسيد هؤلاء رسول الله ﷺ ؛ فإن الصّدقة عن الموتى ونحوها تصل إليهم باتفاق المسلمين ؟

١٧٨- فيقال : الجواب عن هذا هو الجواب عن الأوّل ؛ وذلك أنهم إذا أهدوا لهم ثواب عمل وَجَبَ أن يكون لهؤلاء أجر على هذا الإهداء ، وأن يكون لمن دعاهم إلى هذا الخير وعلمهم إياه مثل أجرهم على ذلك ، وهذا الداعي إلى الخير غَنِيٌّ عن أن يهدى إليه ثواب العمل ، فلم يبق في الإهداء فائدة ، بل فيه إخراج العامل للثواب عن نفسه من غير فائدة تَحْضُلُ لغيره ، إذ العامل يُثِيبُهُ الله على عَمَلِهِ ، ويعطي من دعاه إليه مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً ، فإذا أهداه وبذل ثوابه لغيره فإن لم يُثِيبْ على هذا الإهداء بمثل ثواب العمل ؛ كان ذلك ضرراً في حَقِّه من غير منفعة حصلت للمهدي إليه ؛ لأن هذا العامل فاته ثواب العمل ، أو كمال الثواب ، وذلك المهدي إليه كان قد حصل له مثل هذا الثواب ، فلم يحتاج إليه .

١٧٩- ولو قدرنا أنه يحصل له ثوابه مرتين فلا ثواب يبقى لهذا ، فالله

تعالى لا يأمر بمثل هذا ولا يشرعه ولا يأمر أحدًا أن ينفع غيره في الآخرة بغير منفعة تَحْضِلُ له ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ بل الله تعالى إنما يأمر بالإحسان ؛ لأنه يجزي المحسنين على إحسانهم والجزاء من جنس العمل .

١٨٠- كما قال ﷺ في الحديث الصحيح^(١) : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ / كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ؛ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » .

/ ١٨٦ /

١٨١- وقال : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا »^(٢) .

١٨٢- وقال : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِدَعْوَةٍ ، إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهَا »^(٣) .

١٨٣- والأحاديث في ذلك كثيرة .

(١) تقدم تخريجه (٥٦) .

(٢) تقدم تخريجه (٤٤) .

(٣) تقدم تخريجه (٤٢) .

١٨٤- وإن قيل : إنه يُثَاب على هذا الإهداء مثل ثواب العمل لَزِمَ أن يكون لمعلمه مثل ذلك ، ولزم التَّسْلُسُ ؛ فصار الأمر دائراً بين ضرر العامل ، والله لا يأمر به ، وبين التسلسل في الجزاء على العمل الواحد ، وهو ممتنع ، فلهذا لم يشرع مثل ذلك .

١٨٥- فإن قيل : فهذا ينتقض بدعائه لمن دَعَاهُ وعلمه ونحو ذلك . قيل : هذا ونحوه من باب المكافأة ؛ كما في الحديث : « مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَغْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » (١) .

١٨٦- وقد قال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

١٨٧- وهم إذا كَافَئُوا الْمُحْسِنِينَ بالدُّعَاءِ انتفع بدعائهم له ، وحصل لهم ثواب المكافأة ، فَحَصَلَ لَهُ مِثْلُ ثَوَابِهِمْ عَلَى الْمَكَافَأَةِ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا ، فلم يَنْضَرَّرْ ، وإن لم يتسلسل الأمر ، بل يكون فعلهم

(١) رواه أحمد (٢ / ٦٨ ، ٩٥) وأبو داود (١٦٧٢ ، ٥١٠٩) والنسائي في الكبرى (٢٣٤٨) وفي المجتبى (٥ / ٨٢) والبخاري في الأدب (١ / ٨٥) وصححه الحاكم (٢ / ٧٣) وابن حبان (٣٤٠٨) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَغْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » .

المكافأة له كفعله المكافأة لغيره وسائر ما يعملونه من القُدل والإحسان الذي دَعَاهم إليه .

١٨٨- ولهذا جاءت الشريعة في حقِّ نبينا ﷺ بالصَّلَاة عليه والتسليم وبسؤال الوسيلة له ﷺ تسليماً ، فنحن إذا صَلَّينا عليه أُثِنَّا على صَلَاتنا عليه ، وله^[١] مثل ذلك الأجر ؛ لكونه هَدَانَا إلى ذلك وذلك من المنفعة التي حصلت له بالدعاء .

١٨٩- وبهذا تَزُول شبه تعرض في هذا الموضع ؛ فإن قوله ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا »^(١) يُوْهم أنه يحصل للمصلي أكثر ما حصل للنبي ﷺ مثلها ، من جهة كونه دعاه إلى هذا الخير لا من جهة صلاة العبد ، ويحصل بصلاة العبد أيضاً ما جعله الله لذلك ، فقد ظهر الفرق بين هذا وبين إهدائه لوالديه ونحوهم .

١٩٠ / ١٨٦ ظ / - كما أمر النبي ﷺ / سعد بن عباد بالصدقة عن أمه^(٢) ، ولم يكن واجباً عليها .

(١) تقدم تخريجه (٤٤) .

(٢) تقدم الحديث ص (٣٩) .

[١] في الأصل : : ولهم .

١٩١- إذا ثبت بالسنة أنه يفعل عن الوالد الواجب وغير الواجب ؛
فقد ظهر الفرق من وجهين :

١٩٢- أحدهما : أنه لم يثبت أن كل عمل يعملهُ الولد يكون لأمه أو لأبيه
مثل أجره ، وإنما قال ﷺ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ
ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (١) .

١٩٣- وفي الحديث الآخر : « إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُكْسَى
والداه من محلل الجنة ، ويقال : بِأَخْذٍ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ » (٢) .

١٩٤- ونحو ذلك مما فيه أن الوالد يَحْضُلُ له نَفْعٌ وَثَوَابٌ بعمل وَلَدِهِ
لكن لا يجب أن يكون مثله .

١٩٥- ولو كان لكل والد من عمل أولاده لكان لآدم من أعمال
الأنبياء من ذريته ، وكذلك نوح وغيره ، وليس كذلك .

١٩٦- بخلاف الداعي إلى الخير كنبينا ﷺ فإن له مثل أعمال أمته
التي دعاهم إليها ، فأجر المعلم الداعي للخير مثل أجر المدعو العامل
بخلاف الوالد والولد .

(١) تقدم تخريجه ص (٦٣) .

(٢) رواه بهذا اللفظ : أحمد (٣٤٨ / ٥) وابن ماجه (٣٧٨١) والدارمي (٣٣٩١) ، وصححه
الحاكم (٧٥٦ / ١) من حديث بريدة رضي الله عنه .

الفرق بين
حق
النبي ﷺ
وخلفائه في
دعوتهم
وحقوق
الآباء

١٩٧- ولهذا حق النبي وخلفائه في دعوته على المدعويين والمعلمين أعظم من حقوق الآباء .

١٩٨- كما قال تعالى : ﴿ أَلَتِنِ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] .

١٩٩- وفي القراءة الأخرى : ﴿ وَهُوَ أَتَىٰ لَهُمْ ﴾ (١) .

٢٠٠- وقد تكلم الناس في هذا المقام بكلام كثير ، قالوا : هذا هو الأب الروحاني ، وهذا هو الأب الجثماني ، وهذا سبب للسعادة الأبدية من الدار الآخرة ، وهذا سبب لوجوده في الدنيا .

٢٠١- وبالجملية : فالداعي إلى الخير قصّد أن يعمل المدعو ذلك الخير وسعى في ذلك بحسب وسعه ، فهو قد قصّد العمل الصالح الذي فعله المدعو ، وقصّد نفع المدعو .

وأما الوالد فقد يقصّد هذا وقد لا يقصده ، ولو قصّده بالدعوة إلى حصول المدعو قرب من نفس وجود الولد إلى حصول سعادته فإنها هي السبب القريب ، ووجوده السبب البعيد .

(١) يُشِيرُ إلى قراءة ابن مسعود وأبي وابن عباس . راجع : « تفسير الطبري » (٢١ / ٧٧) و « تفسير القرطبي » (١٤ / ١٢٣) و « المعاني » للقراء (٢ / ٣٣٥) .

٢٠٢- ومعلوم أنَّ الإنسان يجب عليه أن يُطِيعَ مُعَلِّمَهُ الذي يدعوه إلى الخير ويأمره بما أمره الله به ورسوله ، ولا يجوز له أن يُطِيعَ أباه في مُخَالَفة هذا / الدَّاعي ، بل طاعة هذا الدَّاعي طاعة لله ورسوله / ١٨٧ و طاعة الوالد المخالفة هذا الدَّاعي طاعة للشيطان .

٢٠٣- قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعِمَهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٤ - ١٥] .

٢٠٤- فَوْضَاهُ سبحانه بوالديه ثم نَهَاهُ عن طاعتهما إذا جَاهَدَاهُ على الشُّرْك ، فكان في هذا بيان أنهما لا يُطَاعَانِ في ذلك ، وإن جَاهَدَاهُ ، وأمر مع ذلك ﴿ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [١] ، وأمره بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ ، وسبيل أهل الإنابة : هي سبيل المؤمنين المتقين أهل طاعة الله ورسوله .

٢٠٥- فالدَّاعي إلى هذا السَّبِيل هو آمِرٌ بما أمره الله به ، فيجب عليه طاعته ، فإذا أطاعه كان للدَّاعي بمثل أجره .

وأما الوالد فيصاحبه في الدنيا معروفاً ، ويُحسن إليه ، وأن من تجب عليك طاعته إلي من تُؤمر بمعاشرته بالمعروف وبالإحسان إليه وينهى عن طاعته إذا خالف الأول .

فهذا المعلم أجزؤه أعظم وطاعته أوجب ، وأما الوالد فلا يستحق مثل أجر الولد إذا لم يدعه إلى ما عمله ، فيكون في الإهداء إليه تحصيل أجر لم يحصل له مثله .

٢٠٦- وظهر الفرق الثاني : وهو أنه إذا لم يستحق مثل أجره أمكن أن يهدي إليه الثواب ، ويُثابُّ الولد على برهما بذلك ، فيكون له مثل أجر بره لهما ، فلا يُفْضي ذلك إلى التَّسْلُشِل في ثواب العمل الواحد ، ولا إلى تَضَرُّر الولد ، فلهذا كان مشروعاً مَسْنُوناً .

٢٠٧- ولو قدر أَنَّ الْمُعَلِّمَ كانَ وَالِدًا وَعَلَّمَ ولده الخير كله ؛ كان له مثل أجر عمل الْوَلَد من حيث هو مُعَلِّم ، وله أجر بعمله الصَّالِح وإن لم يكن مثل أجر الوالد .

٢٠٨- وَالْوَلَد إذا تصدَّق عن هذا من حيث هو والده ؛ كان هذا أيضاً مشروعاً لما تقدم .

٢٠٩- وتبيَّن بهذا الجواب عن الوجه الثاني ، وهو قوله : يمكن حُصُول الثواب للنبي ﷺ مرتين بوجهين أيضاً .

/ ظ ١٨٧ /

٢١٠- أحدهما : أن ذلك يُفْضِي إلى التَّسْلُسِل إذا كان / للعامل ياهدائه مثل أجره ، وإن لم يكن له أجر فقد تبين بما ذكرناه ما يعلم به جواب السؤال .

قول القائل
عَنْ النَّبِيِّ
ﷺ أَوْجِبَ
مِنْ حَقِّ
الْوَالِدِ

٢١١- وقول القائل : « حَقُّ النَّبِيِّ ﷺ أَوْجِبَ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ » كلام صحيح ؛ إذ حقه بوجوب طاعته فله بمثل أَجْرِهَا بخلاف الوالد كما تقدم .

٢١٢- وأما أزواجه أمهات المؤمنين : فَلَهُنَّ من الاحترام ما ليس للأم^[١] والدة ، وَيَحْرُمُ نِكَاحَهُنَّ كما يَحْرُمُ نِكَاحَ أم الولادة .

٢١٣- لكن أم الولادة ذات مَحْرَمٍ يجوز الخلوة بها ، والنظر إليها والسَّفر معها ، كما يجوز لسائر ذوات المحارم .

وأما أمهات المؤمنين : فلا يجوز ذلك في حَقِّهِنَّ ؛ إذ هُنَّ أمهات في الحرمة لا في المحرمية .

٢١٤- وأما قول القائل : « هَلَا فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ؟ فكلَّامٌ صَحِيحٌ .

٢١٥- وأما قول الآخر : « وَمَا يُذْرِيكَ ، قَدْ فَعَلَهُ عَلِيٌّ حِينَ ضَحَّى عَنْهُ » ؟ فليس بجوابٍ صَحِيحٍ ، فإننا نعلم أنه لم يكن يفعل ذلك لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ، وتوضيحية علي إن صَحَّ

[١] في الأصل : « الأم » .

الحديث فيها ؛ فإنما فعله بإذنه كما تقدم ، ومثل هذا لا نزاع فيه فإنه من باب النّياية عن الوصي .

٢١٦- وقد تقدم أنّ [في]^[أ] نفس حديث التّضحية ما يدل على أنه لا يفعل هذا وأمثاله بغير إذنه ، فإن في الحديث أنّ حنش الصّنعاني قال : « رأيتُ عليّاً يُصْحِي بكبشين ، فقلت له : مَا هَذَا ؟ فقال : إنّ رسول الله ﷺ وصّاني أن أُصْحِي عنه ، فأنا أُصْحِي عنه »^(١) .

٢١٧- فسؤال حنش لِعَلِيٍّ دَلِيلٌ على أنه لم يكن من المعروف عندهم أن تُفَعَّل العبادات البدنية أو المالية عن النبي ﷺ ، وجوابُ عليٍّ له بقوله : « إنّ رسول الله ﷺ وصّاني أن أُصْحِي عنه » دَلِيلٌ على أنه إنما فعل ذلك لأجل الوصية ، وأنه لو لم يُوصِهِ لم يفعل ذلك .

٢١٨- ولو كان هذا ونحوه مما يُفَعَّل بِوَصِيَّةٍ وبغير وصية لكان عليّ يجيب بهذا الجواب أيضاً ؛ فإنه يكون أعم فائدة وأقطع لسؤال السائل ؛ لأنه هو الذي نقل أنه وصّاه .

٢١٩- وأما كون ذلك يفعل عنه ؛ فدلِيلٌ هذا يشترك فيه عليٌّ وغيره^[ب] ثم كان ينتفع بذلك في جميع العبادات أو في العبادات المالية .

(١) راجع : تخريجه فيما تقدم ص (٥٢) .

[أ] ما بين المعرفتين زيادة يستقيم بها السياق .
[ب] في الأصل « غيره » ، وزدت لها الواو ليستقيم السياق .

٢٢٠- وأما قول القائل : « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد دعا الناس إلى الهدى والخير كله ، وله أجر كل من اتبعه » ؛ فكلامٌ صحيحٌ كما تقدم لكن قد تَقَدَّمَ فساد / هذا القياس وبطلان هذا [الكلام] [١] وتبين أن كونه سبحانه وتعالى مالكا لكل شيء وربّه وخالقه لا يستلزم وجود الإيمان والعمل الصالح من العبد إلا بأمره بذلك وبهديه إليه .

٢٢١- فإنه سبحانه رب المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وله الدنيا والآخرة ، وهذه الربوبية العامة الشاملة لكل شيء يشترك فيها أوليائه وأعداءه وأهل جنته وناره ، وإنما يفترون في توحيد إلهيته وهي عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، فمن قام بهذا التوحيد والطاعة كان مؤمنا سعيدا ، ومن لم يقم بها كان كافرا شقيئا ، وأنه رب هذا وهذا .

٢٢٢- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كَلَّا نُمَدِّدُ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨ - ٢٠] .

[١] يبايض بالأمل وما بين المقوفين زيادة يعظم بها السياق .

٢٢٣- وقد بَسَطْنَا الكلام على هذا الأصل العظيم في مواضع كثيرة (١) وبيّنا ما وقع من غَلَطِ الغَالِطِينَ الذين لم يُفَرِّقُوا بين الحقائق الكونية المتعلّقة بمشيئته ؛ وبين الحقائق الدينية المتعلقة برضاه ومحبته وإلهيته .

٢٢٤- فإن الحقيقة الكونية أَقَرُّ بها اليهود والنصارى ، بل المشركون عباد الأصنام .

٢٢٥- كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] .

٢٢٦- وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقَرُونَ * قُلْ مَنْ يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩] .

٢٢٧- وكثير من أهل الشلوك يشهدون هذه الحقيقة وتوحيد الربوبية فيظنون أنهم وَصَلُوا إلى الغاية المطلوبة من أهل التحقيق والمعرفة

(١) راجع : « مجموع الفتاوى » (٢ / ٤١١ ، ٤١٢) (٨ / ٨٢ ، ١٨٨ ، ٤٤٠) (١٤ / ٣٦)

(١٨ / ١٣٢) و « منهاج السنة النبوية » (٣ / ١٥٦) .

والتوحيد ، حتى إن منهم من يكون في الباطن من المعاونين للكفار
والفساق بحاله ، ويظن أنه مُتَصَرِّفٌ بأمره لمشاهدته الحقيقة الكونية
ومنهم من يظن أنه من وَصَلَ إلى مشاهدة هذه / الحقيقة سقط عنه / ١٨٨٥
الأمر والنهي الشرعيان .

٢٢٨- ومنهم من يتوهم أنَّ وجود الخالق هو المخلوق ، فيقع في وحدة
الوجود ، فيكون في أول أمره يقول (١) :

الرد على
أهل الإلحاد
أصحاب
وحدة
الوجود

الرَّبَّ حَقٌّ والعبد حَقٌّ
يا ليت شعري من المُكَلَّف
إن قلت عَبْدٌ فَذَاكَ رَبٌّ (٢)
وإن قلت رب [فَأَنْتَ يُكَلَّف] [٣]
وفي آخر أمره يقول :

فالأمر الخالق المخلوق
والأمر المخلوق الخالق

(١) الأبيات أوردها شيخ الإسلام كثيرا في كتبه وردَّ عليها : راجع « مجموع الفتاوى » (٢ / ٨٢ ،
١١١ ، ١١٦ ، ٢٤٢ ، ١٤ / ١٢) و « الرد على البكري » (١ / ٣٥٩) .

(٢) قال شيخ الإسلام رحمته الله : « وفي موضع آخر : « فذاك ميت » رأيت بخطه ؛ وهذا مبني على
أصله ؛ فإنه عنده ما ثم عبد ولا وجود إلا وجود الرب ، فمن المكلف !؟ وعلى أصله هو المكلف
كما يقولون : أرسل نفسه إلى نفسه رسولاً .. » « مجموع الفتاوى » (٢ / ٢٤٢) .

[٣] يباض بالأصل ، واستدركه من « مجموع الفتاوى » .

٢٢٩- والعلم والعالم هويته وصورته ، وهو الموصوف بكل مدح وذم وكل جمال وكل نقص .

٢٣٠- وأمثال ذلك مما قد عُرف من كلام هؤلاء الملحدّين الذين يقولون من الكفر ما لم يَقُلْهُ اليهود ولا النَّصارى ولا عباد الأصنام ويدّعون أنَّ هذا تحقيق وعِزْفان وتوحيد .

٢٣١- وأضلُّ ذلك : عدم الفرق بين ما يحبه ويرضاه وما لا يحبه ولا يرضاه وإن كان قد قَدَّرَه وقضاه ، فيجعلون المخلوقات متساوية ثم يسوِّون بين الخالق والمخلوق ، ويجعلونه إياه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٢٣٢- ولهذا يفرق بين عُبَاد الله بين العبد الذي عبد الله بقدرته ومشيتته وربوبيته ، وبين العابد الذي عبد الله فَعَبَدَهُ وَخَدَهُ لا يشرك به شيئاً ، وأطاع أمره الشرعي الديني .

الفرق بين
من عبد الله
بقدرته
ومشيئته
ومن عبده
وحده لا
يشرك به شيئاً

٢٣٣- فالأول : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : ٩٣ - ٩٤] .

٢٣٤- والثاني كقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] .

٢٣٥- وقوله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾

٢٣٦- وقوله : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان : ٦] .

٢٣٧- وقوله : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء : ١] .

٢٣٨- ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن : ١٩] .

٢٣٩- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة : ٢٣] .

٢٤٠- ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم : ١٠] .

الفرق
بين الإرادة
الكونية
والدينية

٢٤١- وقد بسطنا في غير هذا الموضع الكلام في الفرق بين الإرادة الكونية والدينية .

٢٤٢- كقوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ

الْعُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

٢٤٣- وقوله : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ

يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يُضَيِّقْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

٢٤٤- وبين الأمر الكوني والديني ، والإذن الكوني والديني ، والبعث

الكوني والديني ، والإرسال الكوني والديني ، وكذلك القضاء

والحكم / والكتاب والتحريم ، وغير ذلك مما يفرق به بين الحقائق / ١٨٩ /

الدينية الإيمانية القرآنية النبوية الشرعية الإلهية الفارقة بين أولياء الله

وأعدائه ، والحقائق الكونية المشتركة الوجودية الخلقية القدرية الملكية .

٢٤٥- فإذا عرف هذا ؛ فيقرب العباد بفعل ما أمَرَهُم من صلاة وصدقة وغير ذلك ، مما يحصل لهم من الإيمان والعمل الصالح الذي يحبّه ويرضاه ما يحصل ، ويستحقون به الثواب في الدنيا والآخرة ، وليس بحاصل من مجرد كون الأشياء مخلوقة له ، بل إنما يحصل من جهة أمره لما يحبه ويرضاه ، وإرساله الرسل بذلك وإنزاله الكتب ، ودعوتهم للعباد إلى ذلك ، ثم هدايته لمن يشاء إلى صراط مستقيم .

٢٤٦- والتَّقَرُّبُ إلى الله بالأعمال - وطاعته منها - ليس من جنس طاعة المخلوق المملوك للملكه من وجوه كثيرة :

لفرق بين
لتقرب إلى
الله وطاعة
المخلوق
المملوك للملكه
لوجه الأول

٢٤٧- أحدها : أن الأمر كما قال قتادة : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرِ الْعِبَادَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ حَاجَتَهُ إِلَيْهِ ، وَلَا نَهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ بُخْلًا بِهِ ؛ وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَنَهَاهُمْ عَمَّا فِيهِ فَسَادُهُمْ » (١) .

وأما السيد والمملك فهو يأمر عبده وجنوده بما هو محتاج إليه .

(١) أورده شيخ الإسلام أيضا في « قاعدة في الحجة » (١ / ١٨٣) وفي « شرح حديث يا عبادي إني حرمت الظلم » (١ / ٢١٦ ، ٤٣٤ ضمن « الفتاوى الكبرى ») و « مجموع الفتاوى » (٨ / ٦١ ، ١٤ / ١٣٨ ، ٢٧ / ٩١) و « روضة المحبين » (١ / ١٢) و « طريق الهجرتين » (١ / ٢١٩) و « مفتاح دار السعادة » (٢ / ١٠) و « شفاء العليل » (١ / ٢٢٦) .

٢٤٨- وفي الحديث الصحيح الإلهي^(١) يقول الله : « يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتُضُرُونِي ، وَلَن تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي » .
وفيه : « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِثَابَهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » .

٢٤٩- وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَلَعَنَہَا ۖ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

٢٥٠- وقال : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۖ ﴾ [الإسراء : ٧] ..

٢٥١- وقال سليمان : ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾^[١] [النمل : ٤٠] .

٢٥٢- وقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

٢٥٣- فهو سبحانه يُبَيِّنُ غِنَاهُ عن أعمال خلقه وأنهم إنما يعملون

(١) جزء من حديث أبي ذر عند مسلم (٢٥٧٧) (٥٥) الذي أوله : « يا عبادي إني حرمت الظلم » .

[١] في الأصل كتب بداية الآية خطأ : (ومن يشكر) .

لأنفسهم ، وإنما هو سبحانه لكمال إحسانه وإنعامه على عباده المؤمنين أمرهم بالجهاد وأمرهم بالصدقة .

٢٥٤- وأخبر أن ذلك نصرٌ له واقتراض منه ، فقال تعالى : ﴿ إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

٢٥٥- وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد : ١١] .

٢٥٦- وهم إنما يجاهدون ويتصدقون بإعانتهم لهم ، وهو المحسن بالأمم إليهم ، وهو المحسن بالإعانة لهم ، وهو المحسن بالجزاء لهم .

٢٥٧ / ١٨٩٥ / وقد / قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] .

٢٥٨- وكذلك لو شاء أن يغني الفقراء فلا يَقْتَرِضَ لهم من الأغنياء ما يثابون عليه إذا أعطوه لهم .

٢٥٩- وهذا النصر والقرض بحكم إلهيته المتضمنة لعبادته وحده لا شريك له ، وطاعته ، وطاعة رسوله ، ثم هو الذي يخلق ذلك ويُيسره بحكم ربوبيته ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، لا رب غيره ولا إله إلا هو ، كما أنه هو المنعم بالنعمة والمنعم بالشكر عليها والنعمة بجزاء الشاكرين .

٢٦٠- ولهذا التَّوْحِيدُ أَسْرَارٌ غُلُوبِيَّةٌ مذكورة في غير هذا الموضع تتعلق بتحقيق مسائل الصِّفَات والشرع والقَدَر^(١) ، ليس هذا موضعها قد نبهنا عليها في غير هذا الموضع .

٢٦١- فَمَنْ سَوَّى بَيْنَ [الْأَمْرَيْنِ]^[أ] كَانَ مِنْ جِنْسِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ؛ فَإِنْ هَؤُلَاءِ الْمُجَادِيلُ جَعَلُوا اقْتِرَاضَهُ كَاقْتِرَاضِ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْمَخْلُوقِ لِحَاجَتِهِ وَكَيْفَ يَقْتَرِضُ مَنْ هُوَ خَالِقُ الْمُقْتَرِضِ وَالْمَقْتَرِضُ وَخَالِقُ أَعْيَانِ ذَلِكَ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ؟!

٢٦٢- فَمِنْ جِهَةِ الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَةِ الشَّامِلَةِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ جَمَعَ الْمُقْتَرِضَ وَلَكِنْ تَصَحَّحَ مِنْ جِهَةِ الْأُلُوهِيَّةِ الَّتِي أَقَرَّ بِهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ ، فَيَكُونُونَ عَابِدِينَ لَهُ بِالْجِهَادِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْكَفَّارُ رَحِمَةً فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَاهَدُوهُمْ فَنَالُوا بِجِهَادِهِمْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

(١) راجع في ذلك مصنف شيخ الإسلام الفريد في هذا الباب المسمى : « التدمرية ؛ تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع » .

[أ] يبايض بالأصل ، وما بين المقولتين زيادة يستقيم بها السياق .

٢٦٣- وكذلك : وُجُود الفجار في حَقٍّ من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حتى ينال أعلى الدرجات .

٢٦٤- وكذلك : وُجُود الفقراء في حَقٍّ الأغنياء الذين بهم حصل لهم ثواب الصَّدَقَات .

٢٦٥- واللَّه قد ابتلى بعضنا ببعض ، فمن أَعَانَهُ على أن أطاعه في الابتلاء ؛ كان الابتلاء رحمة في حَقِّه ، بخلاف مَنْ خذله فَعَصَاه .

٢٦٦- ويشهد لهذا الحديث الذي في « صحيح مسلم »^(١) عن النبي

ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن بقضاء إلا كان خَيْرًا له ، وليس / ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا له ، وإن أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا له » . / ١٩٠ /

٢٦٧- فالمؤمن الذي مَنَّ الله عليه بالشُّكر والصَّبْر ؛ يكون جميع القضاء خَيْرًا له بخلاف من لم يشكر ولم يصبر .

(١) مسلم (٢٩٩٩) (٦٤) من حديث ضَهَبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » .

واللفظ الذي أورده المصنف عند القضاء في « مسند الشهاب » (١ / ٣٤٨) (٥٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

الوجه الثاني
من الفرق

٢٦٨- الوجه الثاني من الفرق : أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَمَرَ الْعِبَادَ بِأَمْرٍ فَهُوَ الَّذِي يَعِينُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ فِيهِ ، فَهُوَ الْأَمْرُ ، وَهُوَ الْخَالِقُ لِلْمَأْمُورِ وَالْمَأْمُورُ بِهِ لِدَاوَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ .

والعبد إذا أمر العبد ، كأمر السَّيِّد عبده ؛ فهو محتاج إلى ما أمره به وليس هو خالق أفعاله ، بل إنما يفعله العبد بإعانة الله له ، ولكن على السَّيِّد نفقته وكُسوته بالمعروف ، فالأمر بينهما فيه معاوضة .

مُعَامَلَةُ
الْمَخْلُوقِ
لِلْمَخْلُوقِ
فِيهَا مُعَاوَضَةٌ
مِنَ الطَّرَفَيْنِ

٢٦٩- وكذلك : مُعَامَلَةُ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ فِيهَا مُعَاوَضَةٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ هَذَا يُعَيِّنُ هَذَا بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ هَذَا ، وَهَذَا يُعَيِّنُ هَذَا بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ هَذَا ، حَتَّى تَتِمَّ مَصْلَحَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْخَالِقُ تَعَالَى هُوَ الْمُعَيَّنُ لِلْجَمِيعِ ، الْخَالِقُ الْمُحْسِنُ إِلَى الْجَمِيعِ وَأَعْظَمُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَهَدَاهُمْ إِلَيْهِ .

٢٧٠- فَهَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ النِّعْمَةِ الْمُطْلَقَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٦ - ٧] .

٢٧١- كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] .

الوجه
الثالث

٢٧٢- الوجه الثالث : أَنَّ اللَّهَ سبحانه مَنْ عَلَيْهِم بِالثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ وَيُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ، وَالْعَبْدُ إِذَا عَمِلَ لِسَيِّدِهِ لَمْ يَنْتَظِرْ ثَوَابًا غَيْرَ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ التَّفَقُّةِ عَلَيْهِ .

٢٧٣- فهذا القائل الذي قال : « الْكَوْنُ كُلُّهُ لَهُ وَنَحْنُ نَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ مِنْهُ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ، وَقَاسَ عَلَى هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَكُونُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِنَا وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَهْدِيهِ ؛ غَالِطٌ غَلْطًا عَظِيمًا ، بَلْ حَقِيقَةٌ هَذَا الْقَوْلُ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ لَمْ يَفْطِنْ لَمَّا يَدْرِكُ إِلَيْهِ ، حَيْثُ جَعَلَ حُصُولَ الثَّوَابِ الْمُهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْزِلَةِ الصَّدَقَةِ الَّتِي يَتَقَبَّلُهَا اللَّهُ ، فَجَعَلَ وَصُولَ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ إِلَى الْمَخْلُوقِ بِمَنْزِلَةِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْخَالِقِ ، مِنْ صَدَقَةٍ وَغَيْرِهَا ! وَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا !؟

الحاجة
والفقر
للمخلوق
وصف لازم
/ ١٩٠٥ /

٢٧٤- [ف]كل^[١] مخلوق فهو محتاج إلى الله مُتَقَرِّبًا إِلَيْهِ ، وَالْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ لِلْمَخْلُوقِ وَصْفٌ لَازِمٌ / ، لَا يُفَارِقُهُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ .

بَلِ الْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ جِهَةِ أُلُوْهِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ رَبُّوبِيَّتِهِ ؛ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ ، لَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ ، وَمُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ ، لَا يَسْتَعِينُ بِغَيْرِهِ .

٢٧٥- كما قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥] .

٢٧٦- فإن لم يعبد به بل عَبَدَ غيره أو أَعْرَضَ عن العبادة خَسِرَ الدنيا والآخرة ، وإذا [لم يعنه] ^[١] سبحانه على عبادته لكان مخذولاً لا يقدر يعبد به ، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا به ، ولا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه .

٢٧٧- ولهذا قيل : إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ ، جعل سِرِّها في الكتب الأربعة ، وجعل سِرَّ الأربعة في القرآن ، وسِرَّ القرآن في الْمُفَصَّل ، وسِرُّ الْمُفَصَّل في الفاتحة ، وسر الفاتحة في : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥] ، وهذه هي التي نِصَفُها للرب ونِصَفُها للعبد ، فإن العبادة حَقٌّ لله .

٢٧٨- كما في « الصحيحين » ^(١) أنه ﷺ قال : « يا معاذ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : « أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : « حَقُّهُمْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ » .

(١) البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠) (٤٨) .

[١] في الأصل : كتب ، ووجهه ، وكتب فزلها كذا ، وما أبه هو الموافق للسياق .

٢٧٩- والكلام في استحقاقه العبادة له أَسْرَارٌ ليس هذا موضع بَسْطِهِ (١) .

٢٨٠- وإذا كان العِبَاد كلهم فقراء إلى الله والله يرحمهم بما يشاء من الأسباب ، ومن ذلك : دعاء بعضهم لبعض ، وإحسان بعضهم إلى بعض ، وإن كان هو سبحانه يثيب الداعي والمحسن .

٢٨١- والدُّعَاء يكون من الأعلى للأدنى ، ومن الأدنى للأعلى ، وليس في هذا غَضَاضَةٌ بالأعلى ؛ فإن الله هو الذي أمر الأدنى بالدعاء كما أمرنا بالصَّلَاة والسلام على خير الخلق ، وهو الذي يثيبنا على ذلك بالحَسَنَةِ عشرًا ، للأمة على النبي ﷺ .

الدُّعَاء
يكون من
الأعلى
للأدنى
ومن الأدنى
للأعلى

٢٨٢- بل لله عليه أكمل المِنَّة والنعم ، ونعمة الله عليه أعظم نعمة أنعم بها على مخلوق ﷺ وما مَنَّ به علينا من الثَّوَاب على الصَّلَاة عليه وسائر أعمالنا فَقَدْ مَنَّ عليه بمثله لدعائه لنا إلى ذلك ، مضافًا إلى ما مَنَّ به عليه من أَجْر عمله .

٢٨٣- والخالق سبحانه إذا تَقَرَّبْنَا إليه بأن نتصدق / على العباد بشق تمرَّة فَذَاكَ إِحْسَانٌ منا إلى أنفسنا ، وهو الذي أعاننا على ذلك .

/ ١٩١ /

٢٨٤- وإذا كان هو يحب ذلك ويرضاه ، بل يفرح بتوبة التائبين

(١) لشيخ الإسلام رسالة في هذا المسألة تنشر قريبًا بإذن الله بتحقيقنا .

كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة^(١) ، فحُبُّهُ وَرِضَاُهُ وفرحه لمخلوق عليه مِنَّةٌ مِنَّةٌ ؛ فإنه الذي خلق ذلك كله ، بل له النعمة على المخلوق الذي أنعم عليه بذلك .

٢٨٥- كان ﷺ يقول عَقِيبَ الصَّلَاةِ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، [لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ]^[١] ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، له النِّعْمَةُ وله الْفَضْلُ وله الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »^(٢) .

٢٨٦- فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُلَاحِظَ التَّوْحِيدَ وَالْإِنْعَامَ .

٢٨٧- قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

(١) ومنها : ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَأَتَتْهُ مِثْلُهَا ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيَسَ مِنْهَا فَأَتَتْ شَجَرَةً فَاصْطَبَّحَ فِي ظِلِّهَا ، وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيَّتَ مَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » ، رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٧) (٧) واللفظ له .

(٢) مسلم (٥٩٤) (١٣٩) عن أبي الزبير قال : كان ابن الزبير يقول في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ فَذَكَرَهُ . ثُمَّ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهْلُلُ بِهِمْ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ .

٢٨٨- فالخالق سبحانه ليس محتاجاً إلى المخلوق بوجه من الوجوه ، بل هو الغني عنه ، وما أحبه ورَضِيه وَفَرِحَ به من أعمال العباد فهو الذي خلقه ، سواء كان صَدَقَةً أو غير صَدَقَةٍ .

الخالق ليس محتاجاً إلى المخلوق بوجه من الوجوه

٢٨٩- والمخلوق سواء كان نبياً أو غير نبي ، هو محتاج إلى الخيرات ، والله هو الذي يعينه بأسباب يُسِّرُها ، وإذا ساق إليه خيراً على يدي العباد أثَّابَ العباد على ذلك .

٢٩٠- فما يَسوقه على يدي العباد من النفع بِصَلَاتِهِمْ عليه وسلامهم عليه ومَسَأَلَتِهِمْ له الوسيلة ونحو ذلك ؛ هو خالقه وهو مُجَازِي العباد ، والله غني عن كل ما سِوَاهُ ، وهو الخالق لكل ما يحبه ويرضاه ، فكيف يُقَاس ، هذا بهذا ؟!

« فمن شبه الله بخلقه فقد كفر » (١) .

٢٩١- ومثل ذلك مثل المشركين والنصارى ومن ضَاهَاهُمْ من ضُلَالٍ هذه الأمة ، الذين يجعلون التَّقَرُّبَ إلى الله بمنزلة التَّقَرُّبِ إلى الملوك ويقولون : إذا كان التَّقَرُّبُ إلى الملوك يحتاج إلى رَسَائِلَ وَوَسَائِلَ وَشُفَعَاءَ من خَوَاصِ الملوك ، فكذلك المتقرب إلى الله .

خطأ من جعل التقرب إلى الله بمنزلة التقرب إلى الخلق

(١) هذه الجملة من كلام نعيم بن حماد شيخ البخاري أخرجها عنه اللالكائي في السنة (٩٣٦) .

- ٢٩٢- وعلى هذا بَنَت الصَّابِئة والنَّصارى وغيرهم دينهم الفاسد .
- ٢٩٣- وهذا أصل عظيم ، فَإِنَّ العباد إِنَّمَا يحتاجون إلى الوسائط في تبليغ أمر الله ونهيه وخبره ، وهو سبحانه قد أرسل إليهم الرسل مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة / بعد الرُّسل . / ١٩١٥ /
- ٢٩٤- وأما وجود الأعمال منهم والثواب على الأعمال ؛ فالله خالق ذلك ، لا يحتاج فيه إلى رسول ، لكنه قد خَلَقَهُ بأسباب ، وهو يخلق الأسباب ، فإرسال الرسل ليسوا أسباباً في خلق ذلك ، وإنما هم أسباب في تبليغ الرسالة .
- ٢٩٥- ولهذا قيل لأفضل الرسل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .
- ٢٩٦- وقال : ﴿ إِنْ تَحَرَّضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [النحل : ٣٧] .
- ٢٩٧- وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .
- ٢٩٨- ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

٢٩٩- وأنواع ذلك مما يُحَقِّق فيه أنه عبد الله ، مُطِيع لربه ، مُبْلَغ لرسالته ، وَأَنَّ الله هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويهدي ويضل ، كما كان يقول في دُبُر الصَّلوات : « اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » (١) .

٣٠٠- وكان ما فعله رسول الله ﷺ هو أكمل المقامات وأعلى الدَّرَجَات ، وهو بذلك سَيِّد ولد آدم ، وخير الخلق وأكرمهم على الله إذ ليس بين الخالق والمخلوق إلا نسبة العبودية .

٣٠١- فمن كانت عبوديته لله أكمل كان عند الله أفضل : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] .

من كانت
عبوديته لله
أكمل كان
عند الله
أفضل

٣٠٢- ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُمْ ﴾ [سبأ : ٢٢ - ٢٣] .

٣٠٣- فبين أن المخلوق ليس له ملك ولا شريك في الملك ولا ظهور يعين الملك ، بل غايته الشفاعة عند الله ، ولكن الشفاعة لا تنفع إلا لمن أذن له .

٣٠٤- ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

٣٠٥- ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] .

٣٠٦- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ / يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٦ - ٢٨] .

٣٠٧- ولهذا كان سيّد الشفعاء ﷺ إذا جاء الخلائق يوم القيامة يطلبون الشفاعة من آدم فيعتذر ، ثم يطلبونها من نوح ومن إبراهيم ثم موسى ثم من عيسى فيقول : اذهبوا إلى محمد فإنه عبّد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال : « فأذهب إلى ربّي فإذا رأيت ربّي خَرَزْتُ ساجدًا فأحمد ربي بمحامد يفتّحها علي لا أحسنها الآن ، فيقول : أيّ محمد ! ارفع رأسك ، قلْ يُسْمَعْ ، وَسلْ تُعْطَ ، فأشفع » (١) .

(١) جزء من حديث أنس الطويل في الشفاعة البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) (٣٢٢) .

٣٠٨- فَيَنْصَلُّهُ ﷺ أَنَّهُ إِذَا أَتَى رَبَّهُ لَا يَشْفَعُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ ، بَلْ يَبْدَأُ
بِالسُّجُودِ لِلَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، فَيَأْذَنُ لَهُ رَبُّهُ فِي الشَّفَاعَةِ .

٣٠٩- وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ ، فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوا الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ ، وَشَبَّهُوا
الْمَخْلُوقَ بِالْخَالِقِ ؛ فَجَعَلُوا إِهْدَاءَ الْهَدِيَّةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْزِلَةِ الْهَدِيَّةِ
إِلَى اللَّهِ ، وَكَأَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى النَّبِيِّ كَمَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ ، فَجَعَلُوا
الْمَخْلُوقَ كَأَنَّهُ الرَّبُّ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ الْمَجَازِي لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَجَعَلُوا
الرَّبَّ مُخْتَاجًا إِلَى عِبَادَتِهِمْ مُفْتَقرًا إِلَى صَدَقَاتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَتَغَوَّنُونَ
ضَرَرَهُ وَنَفْعَهُ ، وَهَذَا دِينُ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى .

خطأ من
جعل إهداء
الهدية إلى
النبي ﷺ
بمنزلة الهدية
إلى الله

٣١٠- بَلِ الْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرِ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ
فَإِنَّمَا يَطْلُبُ أَجْرَهُ مِنَ اللَّهِ ؛ لَا مِنْهُمْ ، فَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ أَوْلَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ إِنَّمَا يُطْلَبُ أَجْرُ إِيمَانِهِمْ وَهَجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ وَصَدَقَاتِهِمْ مِنَ
اللَّهِ ، لَا مِنْ مَخْلُوقٍ ، وَلِلَّهِ يَعْمَلُونَ لَا لِلْمَخْلُوقِ .

٣١١- وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ : « إِنَّ مِنْ أَمْرِ
النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ
أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » (١) .

(١) البخاري (٣٦٥٤) ومسلم (٢٣٨٢) (٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

من مناقب
أبي بكر
الصديق

٣١٢- قال تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل : ١٧ - ٢٠] .

٣١٣- وهذه الآية نزلت في الصديق وإن كانت متناولة لغيره فإنه قد يراد بها قطعاً ، وهي مما استدل به أهل السنة على أنه الأتقى فيكون أكرم الخلق من هذه الأمة .

٣١٤- كقوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

٣١٥- قالوا : ولا يجوز أن تكون نزلت في عليّ دونه ؛ لأن عليّ عليه السلام كان / فقيراً في كفالة النبي ﷺ ؛ كَفَلَهُ لَمَّا وَقَعَتْ بِمَكَةِ المجاعة ، فبعث الله نبيه وعلي عنده صغير في كفالته ، فأمن به كما آمنت به خديجة ، ولم يكن له مال ينفقه عليه^(١) .

٣١٦- وأما أبو بكر فكان رجلاً بالغاً مؤسراً ، فأعانه بنفسه وبماله ، كما قال ﷺ : « إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ »^(٢) .

٣١٧- وإن كانت نفقة أبي بكر في سبيل الله ، لم تكن في مؤنة النبي ﷺ فإن النبي ﷺ كان مُسْتَغْنِيًا فِي نَفَقَةِ نَفْسِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِ ، ولكن

(١) راجع : « منهاج السنة النبوية » (٤ / ٦ - ٧) و « مختصر التحفة الاثنى عشرية » (١٤١ ، ١٤٢) .

(٢) تقدم تخريجه ص (١٠٨) .

أَعَانَهُ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ حَيْثُ اشْتَرَى سَبْعَةَ يُعَذِّبُونَ فِي اللَّهِ ، مِنْهُمْ بِلَالٌ وَغَيْرُهُ ، وَفَعَلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

٣١٨- والمقصود هنا : أَنَّ الأَعْمَالَ لَا تَعْمَلُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَا يُطَلَّبُ أَجْرُهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ وَصَلَ بِهَا نَفْعٌ عَظِيمٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فَاللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ ، وَالرُّسُلُ دَعُّوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِمْ ، وَيَتَنَوَّاهُ أَنْ يَجْزَأَ عَلَى اللَّهِ ، لَا عَلَيْهِمْ .

الأعمال لا
تعمل إلا
لله ولا
يطلب
أجرها إلا منه

٣١٩- قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] .

٣٢٠- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا زُيِّنَتْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا مَرَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس : ٤٦] .

٣٢١- وَقَالَ : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية : ٢١ - ٢٦] .

٣٢٢- فَقَالَ ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا [مِنْي] ^[١] دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » (١) .

(١) البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) (٣٦) من حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما .

[١] ما بين المعقوفين زيادة من مصادر التخریج .

٣٢٣- وكثير من أهل الجهل والضلال يَطْلُبُون جزاء أعمالهم من أولياء الله أو أنبيائه ، كأنهم يعبدونهم ، أو كأنهم عملوا لأجلهم وإنما هم لهم دعاة وهداة ومرشدون ومعلمون ومعينون لهم على الخير بحسب ما يمكنهم من دعاء وغير دعاء ، يطلبون أجرهم من الله لا ممن دعوه وأعانوه .

٣٢٤- ولهذا كان كل من الرُّسُل يقول : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] .

٣٢٥- وقال : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥٧] .

٣٢٦- وهذا الاستثناء مُنْقَطِع ، وكذلك الاستثناء في قوله : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] .

٣٢٧- كما قد فسّر ذلك ابن عباس وحديثه في « الصحيحين » (١) .

٣٢٨- وكذلك من عمل صالحاً ينتفعون به من ذكر وأنثى ، فإنما

(١) البخاري (٣٤٩٧) والترمذي (٣٢٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : قُرْبَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَجَلَتْ إِنْ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ فَقَالَ : إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ .

[أ] في الأصل كتبت الآية عطا هكذا (إن أجري إلا على الله) 11

يطلب أجره من الله ، فنحن كل خير نفعله هو بركة دَعْوَةِ الرُّسُل
لنا إلى الخير ، وأجرنا في ذلك على الله ، لا على غيره ، وله مثل
أجورنا من الله ، لا مِنَّا مِنَّا .

٣٢٩- ولهذا أمرنا عند زيارة قبور الموتى ، أن نُسَلِّمَ عليهم وندعو لهم
كما نُصَلِّي على جنائزهم ، ويكون أَجْرُنَا في ذلك على الله
لا مِنَّنِي صَلَّيْنَا على جنازته ، ولا على من زُرْنَا قبره ، وتكون
رَغْبَتُنَا إلى الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ
فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٧ - ٨] .

٣٣٠- ولكن كثير من أهل [ب] الضُّلال صار يُشْبِهُ النصارى ، فينزل
المخلوق بعد موته بمنزلة الخالق ، يَطْلُبُ منه ما يطلب من الخالق
وَيَتَقَرَّبُ إليه بالهدية وغيرها ، يطلب الثَّوَابَ منه كما يطلب من
الخالق ، وهذا إنما يفعل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم ؛ لأنهم في
حياتهم لا يَمَكُون أَحَدًا من الإِشْرَاق بهم .

إنزال
المخلوق بعد
موته بمنزلة
الخالق
ضلال مبين

٣٣١- كما قال المسيح : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

[أ] في الأصل : «وما أتيتهم يوافق السابق .
[ب] في الأصل : «أهل ، ١١

٣٣٢- وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩ - ٨٠] .

٣٣٣- فمن اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا فهو كافر .

٣٣٤- ولهذا كان خاتم الرسل المبعوث بملة إبراهيم قد أقام الملة الحنيفية كما نعت ذلك في الكتب المتقدمة .

٣٣٥- وثبت ذلك في الصحيح^(١) : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِزْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا تَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ تَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ وَالْعَفْوَ ، وَلَنْ / أَقْبِضَهُ حَتَّى أَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، فَأَتَفَحَّ بِهَ أَعْيُنًا غُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا ، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

/ ١٩٣ظ /

(١) البخاري (٢١٢٥) من حديث عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك .. الحديث .

إشراك
النصارى
وغلورهم
وابتداعهم

٣٣٦- ففي الصحيح^(١) أنه قال ﷺ : « لا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ بْنِ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

٣٣٧- وفي الصحيح^(٢) أيضًا أنه قال ﷺ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا . قَالَتْ عَائِشَةُ : وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرَزَ قَبْرُهُ ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا .

٣٣٨- وفي الصحيح^(٣) أنه قال قبل أن يموت بخمس : « إِنَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » .

٣٣٩- وفي « السنن »^(٤) عنه أنه قال : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَتَّخِذُوا قُبُورِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ » .

٣٤٠- وقد ثبت عنه في « الصحيحين »^(٥) أنه قال : « لَتَرْكَبُنَّ شُنَنَ مَنْ »

(١) البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٣١) (٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) مسلم (٥٣٢) (٢٣) من حديث جندب رضي الله عنه .

(٤) تقدم تخريجه ص (٤٦) .

(٥) البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) (٦) بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري .

وأما اللفظ المذكور ؛ فهو من رواية شداد بن أوس عند أحمد (٤ / ١٢٥) والطبراني (٧ /

٢٨١) بلفظ : « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلو من قبلهم حذو القلة بالقلة » .

وراجع : « مجمع الزوائد » (٤ / ١٤٥) .

كان قبلكم حُذِرَ القَذَّةُ بالقَذَّةِ ، حتى لو دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ
قالوا : يا رسول الله ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قال : فَمَنْ !؟ » .

٣٤١- وقد شرحنا هذا الحديث ، وتكلمنا على جمل ما وقع في ذلك
لمخالفة الصراط المستقيم في غير هذا الموضع (١) .

٣٤٢- والمقصود هنا : أَنَّ النصارى فِيهِمْ إِشْرَاكٌ وَغُلُوٌّ وَابْتِدَاعٌ .

٣٤٣- قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

٣٤٤- وقال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٧] .

٣٤٥- وقال تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النساء : ١٧١] .

(١) وألف المصنف في ذلك مصنفًا راعيًا سماه « اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم » وهو مطبوع .

٣٤٦- وقال : ﴿ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

٣٤٧- فصار في كثير من الضلال في هذه الأمة إشراك وغلو وابتداع كما أخبر به النبي ﷺ .

الشبه بين
النصارى
وبين من
يهدي
العبادات
للمخلوق

٣٤٨- وهؤلاء الذين يعملون العبادات ويهدونها إلى الأنبياء والأولياء بعد موتهم طالبين الأجر من / أولئك الذين يهدونها إليهم كما يَطْلُبُونَ الأجر من الله فيما يتقربون به إليه من الصدقة وغيرها من الأعمال ؛ فيهم إشراك وابتداع وغلو .

/ و ١٩٤ /

٣٤٩- أمّا إشراكهم ؛ فقد ضاهوا المخلوق بالخالق .

أما إشراكهم

٣٥٠- وأمّا ابتداعهم ؛ فإن هذا العمل لم يُسِنَّه رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون .

أما ابتداعهم

٣٥١- وقد ثبت عنه في « الصحيحين »^(١) أنه قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

(١) البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) (١٧) . بلفظ : « مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ

فَهُوَ رَدٌّ » من حديث عائشة رضي الله عنها .

وأما اللفظ المذكور فهو عند مسلم (١٧١٨) (١٨) وعلقه البخاري (٣١٧ / ١٣) .

٣٥٢- وقال : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنْ كُلُّ يَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (١) .

٣٥٣- وَالْغُلُو ؛ حَيْثُ جَعَلُوا فِي الْبَشَرِ شَوْبًا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ أَمَا غُلُوبُهُمْ وَالْغَنَى عَنْ صَاحِبِهِ إِلَى زِيَادَةِ النَّفْعِ مَضَاهَاةٌ لِلنَّصْرَانِيَّةِ .

٣٥٤- وَهُمْ فِي تَقَرُّبِهِمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ يَشْبَهُونَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ ، الْمُسْتَعِينِينَ بِغَيْرِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَهُ حَقُوقٌ لَا يَشْرِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، وَلِرَسُولِهِ حَقُوقٌ لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَقُوقٌ .

٣٥٥- وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح : ٨ - ٩] .

(١) أخرجه أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢ ، ٤٣) والدارمي (١ / ٤٤) والحاكم (١ / ٩٧) من حديث العرياض بن سارية أبي نجيب رضي الله عنه . وقد صححه غير واحد من أهل العلم : فقال الترمذي : « حسن صحيح » وصححه الحاكم وأقره الذهبي ونقل ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١ / ٢٢٢ - ٢٢٤) عن أبي بكر أحمد بن عمرو البزار قوله : « حديث عرياض في الخلفاء الراشدين صحيح ثابت » ثم قال : وهو كما قال . وصححه المصنف في « مجموع الفتاوى » (٢٠ / ٣٠٩) وفي « اقتضاء الصراط » (٢ / ٥٧٩) .

فالإيمان بالله والرسول ، والتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح بكرة وأصيلًا لله وحده .

٣٥٦ . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] .

فالتطاعة لله والرسول ، والخشية والتقوى لله وحده .

٣٥٧ . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

٣٥٨ . فالإيتاء لله والرسول ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا ﴾ [الحشر : ٧] ؛ فإن الرسول يأمر بما أمر الله به ، وينهى عما نهى الله عنه ، ويأذن فيما أذن الله .

٣٥٩ . قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

٣٦٠ . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٦٤] .

٣٦١ . وأما التوكل ؛ فعلى الله وحده ؛ فلهذا قالوا :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

٣٦٢- ولم يقولوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ » كما قالوا : ﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

٣٦٣- فَإِنَّ الْحَسِيبَ هُوَ الْكَافِي ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ كَافِي عِبَادِهِ ، كما / قال / ط ١٩٤ /
تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

٣٦٤- وقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] أي : الله كافيك وكافي المؤمنين المتقين هذا الذي^[١] اتفق عليه السلف .

٣٦٥- وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ وَالْمُؤْمِنِينَ يَكْفُونُكَ^[ب] فقد غلط غلطاً عظيماً من وجوه كثيرة في اللغة والتفسير والمعنى كما قد بسط في غير هذا الموضع ، وهذه القواعد كلها مبسطة في غير هذا الموضع^(١) .

٣٦٦- والمقصود هنا : أَنَّ الْإِشْرَاقَ : أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً فيما يختص به من العبادة أو التوكل .

٣٦٧- ومن البدعة : أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ بعبادة لم يدلّ عليها دليل شرعي .

(١) « رسالة في التوكل - ضمن جامع الرسائل » (١ / ٨٩) ، و « منهاج السنة النبوية » (٢ / ٣٢) وراجع أيضاً : « زاد المعاد » (١ / ٣٨)

[أ] بالأصل : « الدين » بدل « هذا الذي » وما آتته يوافق السياق .
[ب] في الأصل : « يكونك » II والتصويب ليرافق السياق .

٣٦٨- ومن الغلو : أن يُزَفَّع المخلوق إلى درجة الخالق .

٣٦٩- وأضل الإسلام مَبْنِيَّ على أصلين :

- أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له .

- ولا نَعْبُدُهُ إِلَّا بما شرع ؛ لا نعبد به بِالْبِدْع .

٣٧٠- كما قال الفضيل بن عياض ^(١) في قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] قال : أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ .

قالوا : يا أبا علي ! مَا أَخْلَصُهُ وَأَصُوبُهُ ؟

قال : « إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يَقْبَلْ ، وَإِذَا كَانَ

صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ ؛ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا .

وَالْخَالِصُ : أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ ، وَالصَّوَابُ : أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ » .

٣٧١- فهذه العبادات التي فيها شِرْكٌ وَغُلُوٌّ ، وَلَمْ تَتَّبِعْ بِدِيلًا شَرْعِيًّا

لَا هِيَ خَالِصَةٌ لِلَّهِ ، وَلَا هِيَ مُوَافِقَةٌ السُّنَّةِ ، فَهِيَ مَنَهِيَّةٌ عَنْهَا

مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٩٥) ونظرًا لأهميته فقد أوردته المصنف في كثير من كتبه ومنها :

« اقتضاء الصراط » (٢ / ٨٤٣) و « الصنفية » (٢ / ٢٤٩ ، ٢٦٣) و « الاستقامة »

(١ / ٢٤٨) و « الرد على البكري » (١ / ١٧٥) و « مجموع الفتاوى » (١ / ٣٣٣ ، ٣ /

١٢٤ ، ٧ / ٤٩٥ ، ١١ ، ٥٠٩ ، ٥٨٥ ، ١٨ / ٢٥٠) .

مبتدعو
إهداء
العبادات
إلى النبي
يجمع فيهم
الإشراك
والغلو
والبدعة

٣٧٢- وهؤلاء الذين ابتدعوا إهداء العبادات إلى النبي ﷺ يجمع فيهم هذا وهذا ، وإن يخلصوا من الإشراك والغلو ، لم يخلصوا عن الابتداع ، فإن هذا عَمَلٌ مُبْتَدَعٌ لم يَقُمْ على استحبابه دليل شرعي ، وقد بَيَّنَّا فَسَادَ ما احتج به من سَوَّغِهِ .

٣٧٣- وإنا لم نعلم أحداً من القرون الثلاثة المفضلة فعل مثل هذا والمجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر لكن إذا تبين الحق وَجَبَ اتِّبَاعُهُ . والله أعلم .





مَسَائِلُ فِي إِهْدَاءِ الْقُرْبَاتِ لِلْأَمْوَاتِ

لِشَيْخِ الْأَسْئَلَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ

بِحَقِّهِ وَتَعَالَى

ابْنِ مُحَمَّدٍ الشَّرِيفِ بْنِ عَبْدِ الْقَامِلِ

أَصْنَافُ السَّلَفِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

سورة الحشر : ١٠

مَسْأَلَةٌ ①

السؤال
الموجه لشيخ
الإسلام

في رجل قرأ القرآن وقال : هذا هدية مني للنبي ﷺ فهل يجوز هذا أم لا ؟ وهل هو محتاج إلينا حتى نُصَلِّي عليه أو نُسَلِّم عليه ؟

الْجَوَابُ

الجواب
اختصر في
مسألة
الإهداء
للنبي ﷺ

٣٧٤- الحمد لله . لم يكن من عَمَل السَّلَف أنهم يُصَلُّون وَيُصُومُونَ ويَقْرَءُونَ وَيُهْدُونَ للنبي ﷺ .

٣٧٥- كذلك : لم يكونوا يَتَصَدَّقُونَ عنه ، ويعتقون عنه ، وإن فعلوا ذلك عن ذلك ؛ لأن كل ما يفعله المسلمون فَلَهُ مثل أجر فِعْلِهِمْ من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً .

٣٧٦- لما ثبت في « صحيح مسلم » ^(١) عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا » .

٣٧٧- بخلاف الأبوين ؛ فإنه ليس كل ما يَفْعَلُهُ الْوَلَد يكون لِوَالِدِهِ

مثله ، وإن كان الأب ينتفع بعمل ولده .

٣٧٨- وأما صلاتنا عليه ، وسلامنا عليه ، وطلبنا له الوسيلة ، فهذا دُعَاءٌ فِيهِ لَنَا ؛ يُبَيِّنُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

٣٧٩- وَيُسْتَحَبُّ هَذَا الدُّعَاءُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ فَيَزِيدُهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُثَبِّبُ عَلَيْهِ الدَّاعِيَ ، وَلَا مِثْلَ لَهُ عَلَيْهِ ؛ بَلِ الْمِثْلُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ .

٣٨٠- وسائر الخلق مُخْتَاجُونَ إِلَى مَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهَا ﷺ ؛ فَإِنَّمَا هَدَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



/ ١٤٦ و /

مَسْأَلَةٌ ٢

فيمن يقرأ القرآن العظيم أو شيء منه ؛ هل الأفضل أن يهدي ثوابه لوالديه ولموتى المسلمين ؟

كَذَلِكَ إِذَا دَعَى عَقِيبُ الْقِرَاءَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَوْصِلْ ثَوَابَهُ لَوَالِدَيْهِ وَلِمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ ؟ أَوْ يَحْصِلُ ثَوَابَهُ لِنَفْسِهِ خَاصَّةً ؟

الْجَوَابُ

٣٨١- أفضل العبادات مَا وَافَقَ هَدْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهَدْيِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

أفضل
العبادات ما
وافق هدي
النبي ﷺ
والسابقين

٣٨٢- كما صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : « إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (١) .

(١) مسلم (٨٦٧) (٤٣) من حديث جابر بن عبد الله قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ اخْمَرَتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَانَتْهُ مُنِيرٌ جَيْشٍ ، يَقُولُ : « صَبَحَكُمْ وَمَسَاكُمْ » ، وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » ، وَيَقْرَأُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السُّبْحَانَ وَالْوُشْطَى وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

٣٨٣- وقد قال تعالى : ﴿ وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

٣٨٤- فرضي عن السابقين مطلقاً ، ورضي عمن اتبعهم بإحسان .

٣٨٥- وقد ثبت عنه عليه السلام في الصحيح^(١) من غير وجه أنه قال :

« خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ / ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » .

٣٨٦- وقال عبد الله بن مسعود : « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنْ بِمَنْ

الأمر باتباع
سبيل
الصحابة

قَدْ مَاتَ ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقُهَا عِلْمًا ، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا ، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَأَعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ »^(٢) .

٣٨٧- وقال حذيفة بن اليمان : « يَا مَعْشَرَ الْقَرَاءِ ! اسْتَقِيمُوا وَخُذُوا

(١) مسلم (٢٥٣٤) (٢١٣) من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذْكَرَ الثَّالِثِ أَمْ لَا قَالَ ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُجِبُونَ السَّمَانَةَ يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدُوا » .

(٢) الأثر رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢ / ٩٤٧) .

طَرِيقَ مَنْ قَبْلَكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبَقًا بَعِيدًا ، وَلَمَنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » (١) .

٣٨٨- وهذا باب واسع ، والدلائل عليه كثيرة .

٣٨٩- وقد قال تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] .
الإسلام والصواب

قال الفضيل بن عياض : « أَخْلَصْهُ وَأَصْوَبْهُ » .

قالوا : مَا أَخْلَصْهُ وَأَصْوَبْهُ ؟

قال : « إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ ، حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا خَالِصًا وَالْخَالِصُ : أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ » (٢) .

٣٩٠- وهذا الذي قاله الفضيل من الأصول المتفق عليها ؛ فإنه قد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ أَخَذَتْ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » (٣) .

٣٩١- وصحَّ عنه (٤) أنه قال : « الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا

(١) الأثر رواه البخاري (٧٢٨٢) .

(٢) الأثر تقدم تخريجه ص (١٢٠) .

(٣) تقدم تخريجه ص (١١٦) .

(٤) البخاري (٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧) (١٥٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .

وهذان الأصلان اللذان ذكرهما الفضيل .

٣٩٢- وقد أَوْجَبَ اللَّهُ الإِخْلَاصَ لَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ :
٣٩٣- كَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة : ٥] .

الإسلام
في القرآن

٣٩٤- وقوله : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] .
٣٩٥- وقوله : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر : ١٤] .
وغير ذلك .

٣٩٦- وقد ذَمَّ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ شَرْعِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ :
٣٩٧- كَقَوْلِهِ : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] .

فم من دان
بغير شرع
الله تعالى

٣٩٨- قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٥٩] .

طريقة
السلف في
هذا الباب

٣٩٩- فإذا عُرِفَ هذا الأُضْلُ ؛ فالأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القُرُونِ الفاضلة :

- أنهم كانوا يعبدون الله تعالى بأنواع العبادات المشروعة ، فَرَضَها ونَفَلَها ؛ من الصَّلَاة والصَّيَام والقراءة والذكر وغير ذلك .

- وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، كما أَمَرَ الله بذلك ؛ يدعون لأخِيائِهِمْ وَأَمْوَاتِهِمْ في صَلَاتِهِمْ على / الجنائز ، وعند زيارة قُبُورِهِمْ / ١٤٧ / وغير ذلك .

٤٠٠- ورُوي عن طائفة من السلف : أن عند كل خُتْمَة دَعْوَة مُجَابَة ^(١) .

٤٠١- فإذا دعا الرَّجُل عَقِيبَ الخُتْمَة لنفسه ولوالديه وَمَشَايخِهِ وغيره من المؤمنين والمؤمنات ، كان هذا من الجنس المَشْرُوع .

٤٠٢- وكذلك : دُعَاؤُهُ لِهِمْ في قيام الليل ، وغير ذلك من مَوَاطِن الإجابة .

(١) قال النووي رحمته الله : « وروى ابن أبي داود بإسنادين صحيحين عن قتادة التابعي الجليل صاحب أنس رضي الله عنه قال : « كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا » وروى بأسانيد صحيحة عن الحكم بن عتيبة - بالتاء المثناة تحت الباء الموحدة - التابعي الجليل الإمام قال : أرسل إلى مجاهد وعبد بن أبي لبابة فقالا : إنا أرسلنا إليك لأننا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء مُسْتَحْبَاب عند ختم القرآن ، وفي بعض رواياته الصحيحة : أنه كان يقال : إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن ، « الأذكار » ص (١٨٥) .

تلخيص
مذاهب
العلماء في
مسائل
إهداء
القربات
للأموات

٤٠٣- وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ عَنِ الْمَيِّتِ ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِأَنْ يُصَامَ عَنْهُ الصَّوْمُ الَّذِي نَذَرَهُ ، فَالصَّدَقَةُ عَنِ الْمَوْتَى مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

٤٠٤- وكذلك ما جاءت به السُّنَّةُ فِي الصَّوْمِ عَنْهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

٤٠٥- وبهذا وغيره احتج من قال من العلماء إنه يجوز إهداء ثواب العبادات البدنية إلى مَوْتَى المسلمين ، كما هو مذهب أحمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي ، فإذا أهدي لميت ثواب صِيَامٍ أو صَلَاةٍ أو قِرَاءَةٍ جاز ذلك .

٤٠٦- وأكثر أصحاب مالك والشافعي إنما يُشْرَعُ ذَلِكَ فِي الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ ، كَالصَّدَقَةِ وَالْعَتَقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، دُونَ الْعِبَادَاتِ الْبَدْنِيَةِ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ هَذِهِ تَقْبَلُ النَّيَابَةَ وَيَجُوزُ التَّوَكُّلُ فِيهَا ، بِخِلَافِ تِلْكَ .

٤٠٧- والأولون يقولون : هَذَا ثَوَابٌ لَيْسَ مِنْ بَابِ النَّيَابَةِ ، كَمَا أَنَّ الْأَجِيرَ الْخَاصَّ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَسْتَنْيِبَ عَنْهُ ، وَلَهُ أَنْ يُعْطِيَ أَجْرَهُ لِمَنْ شَاءَ .

٤٠٨- وأصحاب أبي حنيفة من أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الْاسْتِنَابَةِ فِي الصِّيَامِ وَنَحْوِهِ ، وَجَوَّزُوا مَعَ هَذَا إِهْدَاءَ الثَّوَابِ .

٤٠٩- والنِّيَابَةُ إِنَّمَا تَجُوزُ فِي مَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ بِخِلَافِ الْإِهْدَاءِ .

فهم خاطئ لقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وبيان المعنى الصحيح

٤١٠- ومن احتج على منع الإهداء بقوله : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم : ٣٩] ؛ فهو مُبْطِل لتواتر النصوص واتفاق الأئمة على أن الإنسان قد يَتَنَفَّع بعمل غيره ، والآية إنما نَفَتْ الاستحقاق لِسَعْيِ الغير ، لم تنف الانتفاع بِسَعْيِ الغير ، والفرق بينهما بين .

القول الفصل هو التزام هدي السلف في هذا الباب

٤١١- ومع هذا فلم يكن من عادات السلف إذا صَلُّوا تَطَوُّعًا أو صاموا تَطَوُّعًا أو حَجُّوا تَطَوُّعًا أو قرءوا القرآن أن يهدوا ثواب ذلك إلى مَوْتَى المسلمين ، بل ولا لخصوصهم ، بل كان من عاداتهم كما تقدم ، فلا ينبغي للناس أن يَغْدِلُوا عن طريق السلف ، فإنه أفضل وأكمل ^(١) .

٤١٢- وقد بَسَطْنَا الجواب في الإهداء للنبي ﷺ في جواب كَبِير ^(٢) ، وبيَّنا أنه ليس بِمَشْرُوع ، وذكرنا مَا يَتَعَلَّقُ بذلك من الْحِكْمِ وَالْمَعَانِي . والله أعلم .



(١) وهذا ما ينبغي أن يُتَمَسَّكَ به وأن يُعْتَصَرَ عليه بالتواجد وقد نقله غير واحد عن شيخ الإسلام وراجع : « النكت والفوائد السننية على مشكل المحرر » (١ / ٢١٢) و « الاختيارات الفقهية » ص (٩٢) .

(٢) يشير شيخ الإسلام إلى رسالة « إهداء الثواب إلى النبي ﷺ » المتقدمة .

مَسْأَلَةٌ (٣)

/ ١٥٠٠ /

في رجل كلما خَتَمَ القرآن أو قرأ شيئاً منه يقول : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَوَابَ مَا قَرَأْتَهُ هَدِيَّةً مِنِّي وَاصِلَةً إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، فهل يجوز ذلك أو يستحب ؟

وهل يجب إنكار ذلك على فاعله ؟

وهل فعَلُهُ أَحَدٌ من عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟

الْجَوَابُ

٤١٣- الْحَمْدُ لِلَّهِ ، هذه المسألة مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَضَلِّ ، وهو أن إهداء ثَوَابِ الْعِبَادَاتِ إِلَى الْمَوْتَى هَلْ يَصِلُ إِلَيْهِمْ أَمْ لَا ؟

٤١٤- فَأَمَّا الْعِبَادَاتُ الْمَالِيَّةُ كَالصَّدَقَةِ ؛ فَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا تَصِلُ إِلَى الْمَيِّتِ ، إِذْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ^(١) : « أَنْ سَعْدًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا ، وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ لَتَصَدَّقَتْ ، فَهَلْ يَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ » .

اتفاق
العلماء على
وصول
العبادات
المالية
كالصدقة

نزاع العلماء
في وصول
العبادات
البدنية

٤١٥- وأما العبادات البدنية ، كالصَّوم والصلاة والقراءة
ففيها قولان :

أحدهما : يجوز إهداء ثوابها إلى الميت ، وهو مذهب أبي حنيفة
وأحمد وطائفة من أصحاب مالك والشافعي .

والثاني : لا تصل ، وهو المشهور عند أصحاب مالك والشافعي .

٤١٦- وقد ثبت في الصحيح^(١) عن النبي ﷺ : أن امرأة قالت :
يا رسول الله ! إن أمي نذرت صيام شهر ، فقال : « صومي
عن أمك » .

٤١٧- فهذه الأحاديث الصحيحة تدلُّ على أن العبادات البدنية تفعل
عن الميت كالعبادات المالية .

٤١٨- وفي الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان
يُضَحِّي عن النبي ﷺ بعد موته ، ويذكر أنه أمره بذلك^(٢) .

٤١٩- إذا عُرف هذا : فإهداء ثواب القرآن إليه ﷺ أو إلى جميع أهل

(١) تقدم تخريجه ص (٦٢) .

(٢) تقدم تخريج الحديث ص (٥٢) وتضعيف شيخ الإسلام لإسناده ؛ وأنه إن صح فإنه إنما ضحى
عنه ﷺ بإذنه ، وهذا جائز .

الأرض هو مثل إهداء ثواب الصَّيَامِ التَّطَوُّعِ والصَّلَاةِ التَّطَوُّعِ ونحوهما ، مثل إهداء ثواب الصَّدَقَةِ والعَتَقِ والحج - على أحد القولين - إلى النبي ﷺ وسائر المسلمين ؛ ولم يبلغنا أنَّ أحدًا من السَّلفِ والصَّحابةِ والتَّابعين / وتابعيهم كان يفعل ذلك .

/ ١٥٠ ظ /

٤٢٠- وأقدم من بَلَّغَنَا أَنَّهُ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَلِيٌّ بْنُ الْمُوفِقِ ^(١) ، أحدُ الشُّيُوخِ مِنْ طَبَقَةِ أَحْمَدَ الْكِبَارِ وَشُيُوخِ الْجَنِيدِ .

٤٢١- وبعضُ النَّاسِ يُتَكَبَّرُ هَذَا لِأَجْلِ كَوْنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْلَى مِنْ أَنَّ أَحَدًا يَهْدِي شَيْئًا إِلَيْهِ ، وَهَذَا الْإِنْكَارُ لَيْسَ بِجَيِّدٍ ، فَإِنَّا مَأْمُورُونَ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْ نُسَلِّمَ عَلَيْهِ وَأَنْ نَسْأَلَ لَهُ الْوَسِيلَةَ .

٤٢٢- وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ^(٢) أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الْعَبْدُ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٤٢٣- وَالِدُعَاءُ يَكُونُ مِنَ الْأَعْلَى لِلْأَدْنَى وَمِنَ الْأَدْنَى لِلْأَعْلَى .

(١) راجع : ما تقدم ص (٥١) والتعليق عليه .

(٢) تقدم تخريجه ص (٤٥) .

- ٤٢٤- كما قال النبي ﷺ لعمر : « لا تَسْنَأْ من دُعَائِكَ » (١) .
- ٤٢٥- ولما أخبره بأويس القرني قال : « إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكَ » (٢) .
- ٤٢٦- وكذلك الصَّدقة عن المِيت والصوم عنه يجوز وإن كان المِيت أفضل ممن يصوم عنه ويتصدق عنه .
- ٤٢٧- فكون الشخص المِيت أفضل من الحي أو كونه نبياً أو صديقاً لا يمنع أن يشرع للحي الدعاء له ، كما أنه يُصَلَّى على جنازته ولا يمنع أيضاً أن يهدي إليه ما يهدي إلى المِيت من ثواب الأعمال الصَّالحة ، والله تعالى بفضله يرحم هذا .
- ٤٢٨- وهذا كما قال : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣) .
- ٤٢٩- لكن إهداء ثواب الأعمال إلى جميع الناس ما سمعت أن أحداً

(١) رواه أحمد (٢٩ / ١) وأبو داود (١٤٩٨) والترمذي (٣٥٦٢) وابن ماجه (٢٨٩٤) وفي إسناده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ضعفه النسائي وابن معين ، وقال البخاري : « منكر الحديث » ، وقد ضعفه الألباني في تخريج « رياض الصالحين » (٣٧٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٢) (٢٢٥)

(٣) تقدم تخريجه ص (٤٤) .

كَانَ فَعَلُهُ ، وَلَا سَمِعْتُ أَنْ أَحَدًا كَانَ يَهْدِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مَا بَلَغَنِي عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْمُوفَّقِ وَنَحْوِهِ^(١) ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ أَوْلَى ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ الْمَشْرُوعَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ .

الافتداء
بالصحابه
وتابعيهم
أولى

٤٣٠- وفي « السنن »^(٢) عنه : « أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » .

قالوا : وكيف تُعرض صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟

فقال : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لَحُومَ الْأَنْبِيَاءِ » .

٤٣١- وقال له رجل : « أَجْعَلُ لَكَ ثُلْثَ صَلَاتِي » ، فقال : إِذَا

يَكْفِيكَ اللَّهُ ثُلْثَ أَمْرِكَ . قال : أَجْعَلُ نِصْفَ صَلَاتِي ، فقال : إِذَا

يَكْفِيكَ اللَّهُ نِصْفَ أَمْرِكَ / قال : أَجْعَلُ ثُلْثِي صَلَاتِي ، قال : إِذَا

يَكْفِيكَ اللَّهُ ثُلْثِي أَمْرِكَ ، فقال : أَجْعَلْ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ ، قال :

إِذَا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ^(٣) .

/ ١٥١ /

(١) راجع : ما تقدم ص (٥١) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٤٧) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٣٠) .

٤٣٢- وفي فضل الصلاة عليه - بأبي هو وأمي - من الآثار ما يضيق هذا الموضع عن ذكره^(١) .

٤٣٣- وكذلك : الدعاء للمؤمنين والمؤمنات والاستغفار لهم ؛ هو الذي جاء به الكتاب والسنة .

٤٣٤- قال تعالى : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

٤٣٥- وفي « السنن »^(٢) عن النبي ﷺ مرَّ بعلي ، وهو يَدْعُو فقال : يا علي عَمَّ ، فَإِنَّ فَضْلَ الْعُمومِ عَلَى الْخُصُوصِ كَفَضْلِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ .

٤٣٦- وفي « السنن »^(٣) : « أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةُ دَعْوَةِ غَائِبٍ لِعَائِبٍ » .

(١) راجع الأحاديث والآثار في ذلك في : « فضل الصلاة على النبي » للقاضي إسماعيل بتحقيق الألباني ، و « جلاء الأفهام » لابن القيم ، و « القول البدیع » للسخاوي .

(٢) أبو داود في المراسيل (٨٠) والبيهقي في الكبرى (٣ / ١٣٠) عن عمرو بن شعيب أن النبي ﷺ أتى علي بن أبي طالب ، وقد خرج لصلاة الفجر ، وعليّ يقول : اللهم اغفر لي اللهم ارحمني ، اللهم ثب علي ، فضرب النبي ﷺ على منكبه ، وقال له : عَمَّ ففضل ما بين العموم والخصوص كما بين السماء والأرض .

(٣) أبو داود (١٥٣٥) والترمذي (١٩٨٠) وَضَعْفُهُ بقوله « حديث غريب ، والأفريقي يُضَعَّفُ في الحديث .. » وقد ضعفه الألباني في « ضعيف الترمذي » (٣٣٨) .

(٤) مسلم (٢٧٣٢) (٨٦) من حديث أبي الدرداء . تقدم تخريجه .

٤٣٧- وفي الصَّحِيح^(١) : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ
يَدْعُوهُ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا ، كلما قال الملك الموكل به : آمين
قال : وَلَكَ بِمِثْلٍ » .

٤٣٨- فالأفعال الشرعية هي التي ينبغي للمؤمن أن يتحرَّرها .
والله أعلم .



(١) تقدم تخريجه (٤٢) .

مَسْأَلَةٌ ٤

في عمل طعام في الختم ، هل هو جائز ؟ ومن يَتَحَدَّثُ بَيْنَ النَّاسِ بكلام أو حكايات مُفْتَعَلَةً كلها كَذِبٌ ، هل يجوز ذلك ؟

الْجَوَابُ

٤٣٩- الحمد لله . أَمَّا الْمُتَحَدِّثُ بِأَحَادِيثٍ مُفْتَعَلَةٍ لِيُضْحِكَ النَّاسَ أَوْ لَغَرَضٍ آخَرَ فَإِنَّهُ عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

٤٤٠- وقد رُوي بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ ؛ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ مِنْهُمْ ، وَيُلَّ لَهُ ، ثُمَّ وَيُلَّ لَهُ ثُمَّ وَيُلَّ لَهُ » (١) .

٤٤١- وقال ابن مسعود : « إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ فِي جَدٍّ وَلَا هَزَلٍ وَلَا يَعِدُ أَحَدَكُمْ صَبِيهَ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُهُ » (٢) .

(١) أبو داود (٤٩٩٠) والترمذي (٢٣١٥) وقال : « حديث حسن » والنسائي في الكبرى (٦ /

٣٢٩ ، ٥٠٩) والدارمي (٢٧٠٢) وأحمد (٥ / ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧) والحاكم (١ / ١٠٨) .

وقد حسنه الألباني في « صحيح أبي داود » (٤٩٩٠) .

(٢) الطبراني في « المعجم الكبير » (٩ / ٩٦ ، ٩٨) .

٤٤٢- وأما إن كان في ذلك ما فيه عُذْوَانٌ عَلَى مُسْلِمٍ وَضُرَرٌ فِي الدِّينِ ؛ فَهَذَا أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْ ذَلِكَ ، وَبِكُلِّ حَالٍ : فِفَاعِلُ ذَلِكَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعُقُوبَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَزِدُّهُ عَنْ ذَلِكَ .

فَصْلٌ

٤٤٣- وَأَمَّا مَا يُضْنَعُ لِلْمَيِّتِ وَيَصِلُ إِلَيْهِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ هُوَ : الصَّدَقَةُ الْمَيِّتِ تَصِلُ إِلَيْهِ وَنَحْوُهَا ؛ فَإِذَا تَصَدَّقَ عَنِ الْمَيِّتِ بِذَلِكَ الْمَالِ لِقَوْمٍ مُسْتَحِقِّينَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يُطْلَبْ مِنْهُمْ عَمَلًا أَصْلًا ؛ كَانَ ذَلِكَ نَافِعًا لِلْمَيِّتِ وَلِلْحَيِّ يَتَصَدَّقُ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ .

٤٤٤- كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ : أَنَّ سَعْدًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ ، فَهَلْ يَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقُ عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ^(١) .

٤٤٥- وَأَمَّا اكْتِرَاءُ قَوْمٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَهْدُونَ ذَلِكَ لِلْمَيِّتِ ؛ فَهَذِهِ بِدْعَةٌ لَمْ يَفْعَلْهَا السَّلَفُ ، وَلَا اسْتَحَبَّهَا الْأُئِمَّةُ .

١٤٨٥ / ٤٤٦- لَكِنْ لَوْ قَرَأَ الْإِنْسَانُ / الْقُرْآنَ لِلَّهِ ، وَأَهْدَاهُ لِلْمَيِّتِ ، وَصَلَ إِلَيْهِ الثَّوَابُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا ، كَمَا تَصِلُ إِلَيْهِ الصَّدَقَةُ

فإن هذا تَصَدَّقَ لله ، وهذا قرأ لله ، وذلك عمل صالح ينفع الله به الحي والميت ، بخلاف الذي يَكْتَرِي من يقرأ ، فإن القَارِئ إنما قرأ لأجل العِوَض ، والمعطي إنما أَعْطَى عِوَضًا عَمَّا استعمله فيه .

٤٤٧- والفقهاء تنازعوا في الاستحجار على تعليم القرآن : فأما استحجار حكم من يستحجار من يقرأ ويهدي ، فما عَلِمْتُ أحدًا من العلماء ذَكَرَ ذلك (١) ، لكن إذا قُرِئ القرآن فاستماعه حَسَنٌ .

٤٤٨- وأما الأكل من الطَّعام : فإن كان قد صَنَعَهُ الوَارِث من ماله لم يَحْرُمُ الأكل منه .

وإن كان قد صَنَعَ من تركه المِيت وعليه دُيُون لم توف وله ورثة صغار في ذلك من حقوقهم لم يُؤْكَل منه .



(١) وقال المصنف رحمته الله : « أما الاستحجار على القراءة وإهدائها ، فهذا لم ينقل عن أحد من الأئمة ولا أذن في ذلك ؛ فإن القراءة إذا كانت بأجرة كانت معاوضة فلا يكون فيها أجر ، ولا يصل إلى الميت شيء ، وإنما يصل إليه العمل الصالح ، والاستحجار على مجرد التلاوة لم يُقَلَّ به أحد من الأئمة ، وإنما تكلموا في الاستحجار على التعليم » ، وقال أيضاً : « الاستحجار على التلاوة لم يرخص فيه أحد من العلماء » « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٣١٦ ، ٢٣ / ٣٦٤)

رِسَالَتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَأَنْتَ لَيْسَ لَكَ الْبَيْنَانُ إِلَّا بِمَا سَعَى

تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

مُحَقِّقُ وَتَعْلِيقُ
أبي محمد الشرف بن عبد القادر

أضواء السلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَمِعَ
أَنَّكَ تَقُولُ
وَلَا يَسْأَلُكَ
وَلَا يَسْأَلُكَ

مَسْأَلَةٌ

في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩]
 وقوله ﷺ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٍ
 جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (١) .
 فَهَلْ يَقْتَضِي ذَلِكَ إِذَا مَاتَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ ؟ .

الْجَوَابُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

المعنى
 الصحيح
 للآية
 والحديث

٤٤٩- لَيْسَ فِي الْآيَةِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ مَا يَقْتَضِي [١] أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَنْتَفِعُ
 بِدُعَاءِ الْخَلْقِ لَهُ وَبِمَا يُعْمَلُ عَنْهُ مِنَ الْبِرِّ (٢) .

٤٥٠- بَلْ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ مُتَّفِقُونَ عَلَى انْتِفَاعِ الْمَيِّتِ بِذَلِكَ ، وَهَذَا بِمَا
 يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِّ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ .

(١) تقدم تخريجه ص (٦٣) .

(٢) قال المصنف رحمه الله : « وكذلك ظن قوم أن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي ينافي قوله : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ فليس الأمر كذلك .. وقد بينا في غير هذا الموضع نحوه من ثلاثين دليلاً شرعياً يبين انتفاع الإنسان بسعي غيره » « مجموع الفتاوى » (١٨ / ١٤٣) .

٤٥١- وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ : الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ ؛ فَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ .

٤٥٢- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ . وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ ﴾ [غافر : ٧ - ٩] .

دعاء
الملائكة
للمؤمنين

٤٥٣- فَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَدْعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ ب : الْمُغْفِرَةِ وَوَقَايَةِ الْعَذَابِ ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ .
وَدُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ لَيْسَ عَمَلًا لِلْعَبْدِ .

٤٥٤- وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] .

استغفار
الرسول
للمؤمنين

٤٥٥- وَقَالَ الْخَلِيلُ [عليه السلام]^[١] : ﴿ رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

[١] كل ما بين القوسين زيادة من مطبوعة « مجموع الفتاوى » ، إلا ما بهت عليه .

٤٥٦- وَقَالَ نُوحٌ [عَلَيْهِ السَّلَام] : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح : ٢٨] .

٤٥٧- فَقَدْ ذَكَرَ اسْتِغْفَارَ الرُّسُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ ؛ أَمْرًا بِذَلِكَ ، وَإِخْبَارًا عَنْهُمْ بِذَلِكَ .

٤٥٨- وَمِنَ السُّنَنِ الْمُتَوَاتِرَةِ الَّتِي مَن جَحَدَهَا كَفَرَ : صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَيِّتِ ، وَدُعَاؤُهُمْ لَهُ فِي الصَّلَاةِ .

٤٥٩- وَكَذَلِكَ : شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَإِنَّ السُّنَنَ فِيهَا مُتَوَاتِرَةٌ بَلْ لَمْ يُنْكِرْ شَفَاعَتَهُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدْعِ (١) .

٤٦٠- بَلْ قَدْ ثَبَتَ / أَنَّهُ يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ .

٤٦١- وَشَفَاعَتُهُ : دُعَاؤُهُ وَسُؤَالُهُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

٤٦٢- فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الْمُتَوَاتِرَةِ ؛ وَجَاحِدٌ مِثْلَ ذَلِكَ كَافِرٌ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ .

(١) من الخوارج والمعتزلة ، وتابعهم في ذلك بعض الكتاب الجهلة في عصرنا هذا ؛ الذين يجترئون على رد الأحاديث الصحيحة بل المتواترة ، وبكل بجاحة !! ومن آخرهم الدكتور مصطفى محمود الذي وقع في تكذيب أحاديث الشفاعة ؛ فعمد إلى الآيات الواردة في الكفار فطبقها على العصاة من المسلمين كما هو مذهب الخوارج المبتدعة ، وظن أن هناك تعارضا بين هذه الأحاديث الواردة في الشفاعة وهذه الآيات ، ومثل هؤلاء إنما يؤتون من ترك تعلم العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة ، والجهل بعلوم الكتاب والسنة !!

الأحاديث
الصحيحة
في هذا
الباب

٤٦٣- والأحاديثُ الصحيحةُ في هذا البابِ كثيرةٌ مثل :

٤٦٤- ما في « الصَّحاحِ » ^(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي تُؤْفِيْتُ أَفَيْنَعُهَا أَنْ تَصَدَّقَتْ ^[أ] عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : إِنَّ لِي مَخْرَفًا - أَيْ بُشْتَانًا - أَشْهَدُكُمْ أَنِّي تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا .

٤٦٥- وفي « الصَّحِيحَيْنِ » ^(٢) عَنْ عَائِشَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا ، وَلَمْ تُوصِ ، وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقَتْ ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ أَنْ أَتَصَدَّقَ ^[ب] عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

٤٦٦- وفي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَلَمْ يُوصِ أَفَيْنَعُهُ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

(١) البخاري (٢٧٧٠) والترمذي (٦٦٩) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٩٠) .

(٣) مسلم (١٦٣٠) (١١) بلفظ : « إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا وَلَمْ يُوصِ فَهَلْ يَكْفُرُ عَنْهُ إِنْ تَصَدَّقَ عَنْهُ ؟ قَالَ « نَعَمْ » .

[أ] في ط : « أَتَصَدَّقُ » .

[ب] في ط : « إِنْ تَصَدَّقْتُ » .

٤٦٧- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العاص : أَنَّ العاص بْنَ وائِلٍ نَذَرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَذْبَحَ مِائَةَ بَدَنَةٍ وَأَنَّ هِشَامَ بْنَ العاص نَحَرَ حِصَّتَهُ خَمْسِينَ وَأَنَّ عَمْرًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : « أَمَّا أَبُوكَ فَلَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ فَصُمْتَ عَنْهُ أَوْ تَصَدَّقْتَ عَنْهُ نَفَعَهُ ذَلِكَ » .

أخرجه أحمد وأبو داود^(١) وقال : « لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ بَلَغَهُ ذَلِكَ »^[أ] .

٤٦٨- وَفِي « سُنَنِ الدَّارِقُطَنِيِّ »^(٢) : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ لِي أَبُوان^[ب] ، وَكُنْتُ أَبْرُهُمَا حَالَ حَيَاتِهِمَا . فَكَيْفَ بِالْبِرِّ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ مِنْ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لَهُمَا مَعَ صَلَاتِكَ ، وَأَنْ تَصُومَ لَهُمَا مَعَ صِيَامِكَ ، وَأَنْ تَصَدَّقَ لَهُمَا مَعَ صَدَقَتِكَ » .

٤٦٩- وَقَدْ ذَكَرَ « مُسْلِمٌ »^(٣) فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّالْقَانِي قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَدِيثُ الَّذِي

(١) راجع : ما تقدم ص (٥٩) .

(٢) راجع : ما تقدم ص (٣١) .

(٣) راجع : ما تقدم ص (٥٧) .

[أ] من قوله : « أخرجه أحمد .. إلخ الفقرة سقط من مطبوعة مجموع الفتاوى .
[ب] في مطبوعة مجموع الفتاوى : « إن لي أبوان » .

جاء : « إِنَّ مِنْ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ وَتَصُومَ لَهُمَا مَعَ صِيَامِكَ » ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ عَمَّنْ هَذَا ؟
قُلْتُ لَهُ : هَذَا مِنْ حَدِيثِ شِهَابِ بْنِ خِرَاشٍ .

قَالَ : ثِقَّةٌ . قُلْتُ : عَمَّنْ ؟ قَالَ : عَنْ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ .
فَقَالَ : ثِقَّةٌ . عَمَّنْ ؟ قُلْتُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ / إِنَّ يَتَنَ الْحَجَّاجَ وَيَتَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَفَاوِزَ
تُقَطَّعُ فِيهَا أَغْنَاؤُ الْمِطِيِّ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ . / ١٧٢ ط /

٤٧٠- وَالْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُرْسَلٌ .

٤٧١- وَالْأَيْمَةُ اتَّفَقُوا عَلَى : أَنَّ الصَّدَقَةَ تَصِلُ إِلَى الْمَيِّتِ .

٤٧٢- وَكَذَلِكَ : الْعِبَادَاتُ الْمَالِيَّةُ : كَالْعِتْقِ .

٤٧٣- وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ : كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْقِرَاءَةِ .

٤٧٤- وَمَعَ هَذَا فَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » ^(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » .

٤٧٥- وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » ^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً

(١) تقدم تخريجه ص (٣٥) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٦) .

قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صِيَامُ نَذْرٍ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكَ عَنْهَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ قَالَ : فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ .

٤٧٦- وفي « الصَّحِيحِ » ^(١) عَنْهُ : أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُخْتِي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُخْتِكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ تَقْضِيهِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَحَقُّ اللَّهِ أَحَقُّ .

٤٧٧- وفي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ بْنِ حَصِيبٍ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفِيَجْزِي عَنْهَا أَنْ أَصُومَ عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

٤٧٨- فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ صَرِيحَةٌ : فِي أَنَّهُ يُصَامُ عَنِ الْمَيِّتِ مَا نَذَرَ ، وَأَنَّهُ شُبَّهَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ الدَّيْنِ .

رفع الملام
عن الأئمة
الأعلام

٤٧٩- وَالْأَيْمَةُ تَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ ، وَلَمْ يُخَالَفْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ مَنْ بَلَغَتْهُ ، وَإِنَّمَا خَالَفَهَا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ ، وَقَدْ

(١) تقدم تخريجه ص (٦٢) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٦١) .

تَقَدَّمَ حَدِيثُ عَمْرِو^(١) بِأَنَّهُمْ إِذَا صَامُوا عَنِ الْمُسْلِمِ يَنْفَعُهُ^[أ] .

٤٨٠- وَأَمَّا الْحُجُّ : فَيُجْزِي عِنْدَ عَامَّتِهِمْ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا خِلَافٌ^[ب] شَاذٌّ .

٤٨١- وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ »^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً

مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ

فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟

فَقَالَ : « حُجِّي عَنْهَا ؛ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتُهُ

عَنْهَا ؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ » .

٤٨٢- وَفِي رِوَايَةِ « الْبُخَارِيِّ »^(٣) : إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ .

٤٨٣- وَفِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ »^(٤) عَنْ بَرِيدَةَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَلَمْ تَحُجَّ أَفَيُجْزِي - أَوْ يَقْضِي - أَنْ أُحُجَّ

عَنْهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ » .

(١) راجع ص (٥٩) .

(٢) البخاري (١٩٥٣) ومسلم (١١٤٨) (١٥٤) .

(٣) البخاري (١٩٥٣) .

(٤) مسلم (١١٤٩) (١٥٧) .

[أ] في مطبوعة « مجموع الفتاوى » : « نفعه » .
[ب] في مطبوعة « مجموع الفتاوى » : « اختلاف » .

٤٨٤- فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ : أَنَّهُ أَمَرَ بِحَجِّ الْفَرَضِ / عَنْ / ١٧٣ /
الْمَيْتِ ، وَبِحَجِّ النَّذْرِ ، كَمَا أَمَرَ بِالصَّيَّامِ .

٤٨٥- وَأَنَّ الْمَأْمُورَ : تَارَةً يَكُونُ وَلَدًا ، وَتَارَةً يَكُونُ أَخًا .

٤٨٦- وَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ بِالَّذِينَ يَكُونُ عَلَى الْمَيْتِ ؛ وَالَّذِينَ يَصِحُّ
قَضَاؤُهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ
أَحَدٍ لَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالْوَلَدِ ؛ كَمَا جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي الْأَخِ .

٤٨٧- فَهَذَا الَّذِي ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ عِلْمٌ مُفْصَّلٌ مُبَيَّنٌ .

٤٨٨- فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُتَنَافَى قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] . « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ » ؛ بَلْ هَذَا حَقٌّ ، وَهَذَا حَقٌّ .

٤٨٩- أَمَّا الْحَدِيثُ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : « انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » (١) .

٤٩٠- فَيَذْكُرُ الْوَلَدَ وَدُعَاؤُهُ لَهُ خَاصَّةً [١] ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِهِ .

٤٩١- كَمَا قَالَ : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد : ٢] .

(١) تقدم تخريجه ص (٦٣) .

٤٩٢- قَالُوا : إِنَّهُ وَلَدُهُ ؛ وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ » (١) .

٤٩٣- فَلَمَّا كَانَ هُوَ السَّاعِي فِي وُجُودِ الْوَلَدِ كَانَ عَمَلُهُ مِنْ كَسْبِهِ بِخِلَافِ الْأَخِ وَالْعَمِّ وَالْأَبِ وَنَحْوِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ أَيْضًا بِدُعَائِهِمْ بَلْ بِدُعَاءِ الْأَجَانِبِ ، لَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ .

٤٩٤- وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ : « انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ .. » (٢) لَمْ يَقُلْ : إِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ .

٤٩٥- فَإِذَا دَعَا لَهُ وَلَدُهُ كَانَ هَذَا مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي لَمْ يَنْقَطِعْ وَإِذَا دَعَا لَهُ غَيْرُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَمَلِهِ لِكِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ .

٤٩٦- وَأَمَّا الْآيَةُ فَلِلنَّاسِ عَنْهَا أَجُوبَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ (٣) .

كَمَا قِيلَ : إِنَّهَا تَخْتَصُّ بِشَرْعٍ مَن قَبَلْنَا .

أجوبة الناس
عن الآية
وبيان
الصحيح

(١) رواه أحمد (٤٢ / ٦ ، ٢٢٠) وابن ماجه (٢١٣٧) والنسائي (٧ / ٢٤١) وابن حبان (٤٢٦١) والبيهقي (٧ / ٤٨٠) بإسناد صحيح من طريق إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها ، وله عنها طرق أخرى ، وفي الباب : عن جابر وعبد الله بن عمرو .

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٣) .

(٣) ذكر الحافظ ابن الجوزي في « زاد المسير » (٨ / ٨٠ - ٨٢) ثمانية أقوال في الآية وقد نقلها شيخ الإسلام ثم قام بتفنيدها ومناقشتها في « تفسير آيات أشكلت » (١ / ٤٥٧ - ٤٦٨) ، وقد تقدم الكلام على بعض منها ص (٤٠ ، ٤١) فلتراجع .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مَخْصُوصَةٌ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مَنْشُوخَةٌ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا تَتَنَاوَلُ السَّعْيَ مُبَاشَرَةً وَسَبَبًا ، وَالْإِيمَانُ مِنْ سَعْيِهِ الَّذِي تَسَبَّبَ فِيهِ ، وَلَا يَخْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

٤٩٧- بَلْ ظَاهِرُ الْآيَةِ حَقٌّ لَا يُخَالِفُ بَقِيَّةَ النُّصُوصِ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم : ٣٩] .

وَهَذَا حَقٌّ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ سَعْيَهُ فَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ ؛ كَمَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَمْلِكُ مِنَ الْمَكَاسِبِ مَا اكْتَسَبَهُ هُوَ .

٤٩٨- وَأَمَّا سَعْيِي غَيْرِهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَمِلْكٌ لَذَلِكَ الْغَيْرِ لَا لَهُ ، لَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِسَعْيِي غَيْرِهِ كَمَا يَنْتَفِعُ الرَّجُلُ بِكَسْبِ غَيْرِهِ .

٤٩٩- فَمَنْ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ ؛ فَلَهُ قِيرَاطٌ ، فَيَنَابُ الْمُصَلِّي عَلَى سَعْيِهِ الَّذِي / هُوَ صَلَاتُهُ ، وَالْمَيِّتُ أَيْضًا يُرْحَمُ بِصَلَاةِ الْحَيِّ عَلَيْهِ . / ١٧٣٥

٥٠٠- كَمَا قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً - وَيُزْوَى : أَرْبَعِينَ وَيُزْوَى : ثَلَاثَةٌ صُفُوفٍ - وَيُشْفَعُونَ فِيهِ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ أَوْ قَالَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » (١) .

٥٠١- قَالَلَّهُ تَعَالَى يُثِيبُ هَذَا السَّاعِي عَلَى سَعْيِهِ الَّذِي هُوَ لَهُ ، وَيَزَحُمُ ذَلِكَ الْمَيْتَ بِسَعْيِ هَذَا الْحَيِّ لِدُعَائِهِ لَهُ وَصِدْقَتِهِ عَنْهُ وَصِيَامِهِ عَنْهُ وَحُجَّهِ عَنْهُ .

٥٠٢- وَقَدْ ثَبَّتَ فِي « الصَّحِيحِ » ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ دَعْوَةً إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ دَعْوَةً قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلِهِ » .

٥٠٣- فَهَذَا مِنَ السَّعْيِ الَّذِي يَنْفَعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ يُثِيبُ اللَّهُ هَذَا وَيَزَحُمُ هَذَا ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى .

٥٠٤- وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمَيْتُ أَوْ الْحَيُّ أَوْ رُحِمَ ^[أ] بِهِ يَكُونُ مِنْ سَعْيِهِ بَلْ أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مَعَ آبَائِهِمْ بِلَا سَعْيٍ .

ليس كل ما
ينتفع به
الميت أو
الحي يكون
من سعيه

٥٠٥- فَالَّذِي يَفْسِّرُ الْآيَةَ ^[ب] أَخْصَصَ مِنْ كُلِّ الْإِنْتِفَاعِ ^[ج] ؛ لِئَلَّا يَطْلُبَ الْإِنْسَانُ الثَّوَابَ عَلَى غَيْرِ عَمَلِهِ ، وَهُوَ كَالَّذِينَ يُوفِّيهِ الْإِنْسَانُ عَنْ غَيْرِهِ ، فَتَبَرَأُ ذِمَّتُهُ لَكِنْ لَيْسَ لَهُ مَا وَفَى بِهِ الدَّيْنُ وَيَتَبَغَّى لَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُوفِيُّ لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) تقدم تخريجه ص (٤٢) .

[أ] في مطبوعة « مجموع الفتاوى » : « رُحِمَ » .

[ب] في مطبوعة « مجموع الفتاوى » : « لم يجز إلا به » .

[ج] في مطبوعة « مجموع الفتاوى » : « انتفاع » .

الفهارس من إجماع الكتاب

- ١- فهرس الآيات القرآنية
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار
- ٣- فهرس الموضوعات

١- فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية رقمها الصفحة

سورة الفاتحة

١٠١	٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
٩٩	٧ ، ٦	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

سورة البقرة

٧١	٣	﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾
٩٣	٢٣	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ..﴾
٣٤	١٨٤	﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قَمَنَ كَانَتْ مِنْكُمْ ..﴾
٩٣	١٨٥	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ ..﴾
٦٤	٢٣٣	﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
١٠٧	٢٥٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

سورة آل عمران

١١٣	٧٩ - ٨٠	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يُوْثِقَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ..﴾
٦٥	٨٣	﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾
٩٥	٩٧	﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ ..﴾
٦٩	١٠٩	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..﴾
٩٧	١٨١	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ..﴾

سورة النساء

١١٨	٦٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يُطَاعَ ..﴾
٩٩	٦٩	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ ..﴾

١١٨	٨٠	﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾
١١٥	١٧١	﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ .. ﴾
١٠٦	١٧٢	﴿ لَن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا .. ﴾

سورة المائدة

١١٦	٧٧	﴿ قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ .. ﴾
١١٢	١١٧	﴿ مَا قُلْتُ لَكُمْ إِلَّا مَا أَمَرَنِي بِهِ .. ﴾

سورة الأنعام

١٠٥	٥٠	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا .. ﴾
٩٣	١٢٥	﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ .. ﴾

سورة الأعراف

١٠٥	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا .. ﴾
-----	-----	--

سورة الأنفال

٦٩	١	﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ .. ﴾
٦٩	٤١	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ .. ﴾
١١٩	٦٤	﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ .. ﴾

سورة التوبة

١٢٨	١٠٠	﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .. ﴾
٥٥	١٠٣	﴿ وَصَلَّى عَلَيْهِمْ ﴾
٧٥	١٢٠	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا .. ﴾
٧٥	١٢١	﴿ وَلَا يُنْفَكُونَ تَفَقُّةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً .. ﴾
١١٥	٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُفَعَتُهُمْ أَرْبَابًا .. ﴾

١١٨	٥٩	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .. ﴾
١١٨	٥٩	﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾
١١٩	٥٩	﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾

سورة يونس

١١٠	٤٦	﴿ وَإِنَّا نُرِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ .. ﴾
١٣٠	٥٩	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ .. ﴾

سورة هود

٧١	٦	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا .. ﴾
٦٦	٥٦	﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا .. ﴾

سورة الرعد

١١٠	٤٠	﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾
-----	----	---

سورة إبراهيم

٤٠ ، ٣٩	٤١	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾
---------	----	--

سورة الحجر

٩٢	٤٢	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ شُلُونٌ ﴾
----	----	---

سورة النحل

٧٧	٢٥	﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ .. ﴾
١٠٥	٣٧	﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي .. ﴾

سورة الإسراء

٩٣ ، ٦٨	١	﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾
٩٥	٧	﴿ إِنَّ أَحْسَنَهُ أَحْسَنَتْ لِنَفْسِكُمْ .. ﴾
٨٩	٢٠ - ١٨	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا .. ﴾
٩٨	٦٥	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾

سورة مريم

٩٢ ، ٦٧	٩٣	﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾
---------	----	--

سورة الأنبياء

١٠٧	٢٨ ، ٢٦	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ .. ﴾
-----	---------	--

سورة الحج

٦٨	٢٦	﴿ وَطَهِّرَ بَيْتِيَ ﴾
----	----	------------------------

سورة المؤمنون

٩٠	٨٩ - ٨٤	﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا .. ﴾
----	---------	---

سورة النور

١١٨	٥٢	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ ﴾
٦٤	٦١	﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

سورة الفرقان

١١١	٥٧	﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ ﴾
٩٢ ، ٦٨	٦٣	﴿ وَيَعَادُ الرَّحْمَنُ الَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾

سورة الشعراء

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ .. ﴾ ١٠٩ ١١١

سورة النمل

﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَنْشُرُ لِنَفْسِهِ .. ﴾ ٤٠ ٩٥

سورة القصص

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ .. ﴾ ٥٦ ١٠٥

سورة العنكبوت

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ ١٢ ، ١٣ ٧٦

سورة لقمان

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَلَّةً .. ﴾ ١٤ ، ١٥ ٨٥

﴿ وَصَلِحْنَاهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ١٥ ٨٥

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ .. ﴾ ٢٥ ٩٠

سورة الأحزاب

﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ ٦١ ٨٤

سورة سبأ

﴿ قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾ ٢٣ ، ٢٢ ١٠٦

سورة ص

﴿ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .. ﴾ ٢٨ ٦٦

﴿ قَالَ فِعْرِيكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .. ﴾

سورة الزمر

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾

سورة غافر

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ ﴾

﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

سورة فصلت

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ .. ﴾

سورة الشورى

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ .. ﴾

﴿ قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيْهِ أَجْرًا .. ﴾

﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَهَّابٌ .. ﴾

سورة الجاثية

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ .. ﴾

سورة محمد

﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ .. ﴾

﴿ إِنْ تَصُورُوا اللَّهَ يَصْرِكُمْ ﴾

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَذَلِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

سورة الفتح

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .. ﴾ ٩ - ٨ ١١٧

سورة الحجرات

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ﴾ ١٣ ١٠٩

سورة النجم

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ ﴾ ١٠ ٩٣ ، ٦٨
 ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكِي فِي السَّمَاءَاتِ لَا تَمْنَىٰ .. ﴾ ٢٦ ١٠٧
 ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ٣٩ ١٣٣ ، ٣٨
 ١٤٩ ، ١٥٧
 ١٥٩

سورة الرحمن

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ٦٠ ٨١

سورة الحديد

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ١١ ٩٦

سورة الحشر

﴿ وَمَا ءَاتَيْنَاكَ الرَّسُولُ فَخُذْهُ وَمَا نَهَىٰكَ .. ﴾ ٧ ١١٨

سورة الملك

﴿ يَبْلُوكُم بِإِثْمِ أَخْسَنُ عَمَلًا ﴾ ٢ ١٢٠ ، ١٢٩

سورة القلم

﴿ أَتَجْمَلُ السَّيِّئِينَ كَالْمُحْسِنِينَ ﴾ ٣٥ ٦٦

سورة نوح

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ .. ﴾ ٢٨ ١٥١ ، ٣٩

سورة الجن

﴿ وَأَنْتُمْ لَنَا قَوْمٌ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ ١٩ ٩٣

سورة الإنسان

﴿ خَلَقْنَا بَشَرًا مِنْ نَسَائِدِ آبَائِهِ ﴾ ٦ ٩٣ ، ٦٨

سورة الغاشية

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ .. ﴾ ٢٦ - ٢١ ١١٠

سورة الشمس

﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ١٣ ٦٨

سورة الليل

﴿ وَسَجِّدْنَاهَا لِآلَتَيْ .. ﴾ ٢٠ - ١٧ ١٠٩

سورة الشرح

﴿ فَإِنَّا فَرَقْتَهُ فَأَنْصَبَ .. ﴾ ٨ - ٧ ١١٢

سورة البينة

﴿ وَمَا أُرِيدُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ .. ﴾ ٥ ١٣٠

سورة المسد

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ ٢ ١٥٧ ، ٦٣



٢- فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
		(١)
١٣٠ ، ٤٥	عمر	« إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا بِمِثْلِ .. »
٥٤	أبي بن كعب	« إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيَغْفِرَ ذَنْبَكَ »
٨٣ ، ٦٣	أبو هريرة	« إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، إِلَّا .. »
١٥٧ ، ١٤٩	-	« أَجْمَلُ لَكَ ثَلَاثُ صَلَاتِي .. »
١٣٨	-	« أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةُ دَعْوَةِ غَائِبٍ لِعَائِبٍ .. »
١٣٩	-	« أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .. »
١٣٨	-	« أَمَّا أَبُوكَ فَلَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ فَصُمْتُ .. »
١٥٣ ، ٥٩	-	« أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بِالصَّدَقَةِ .. »
٨٢	-	« أَمِيرُثُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا .. »
١١٠	-	« إِنْ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ .. »
١٥٦	-	« إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ .. »
١٣٧	-	« إِنْ أَطِيبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ .. »
١٥٨	-	« الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ .. »
١٢٩	عمر	« إِنْ الدُّعَاءُ مُؤَقَّوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. »
٤٥	عمر ^(٥)	« إِنْ الذِّي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ ؛ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ .. »
١٤١	-	« إِنْ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُكْسَى .. »
٨٣	بريدة	« أَنَّ الْعَاصِ بْنَ وَائِلٍ نَذَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ .. »
١٥٣ ، ٥٩	ابن عمرو	« إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا .. »
١٢٩ ، ١٢٠	الفضيل ^(٥)	« إِنْ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ فِي جَدٍّ وَلَا هَزَلٍ .. »
١٤١	ابن مسعود ^(٥)	« إِنْ الْمَلِكُ بَجَاعَنِي فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! .. »
٤٧	أبو طلحة	

٩٤	قنادة ^(٥)	« إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرِ الْعِبَادَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ .. »
٧١	—	« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ .. »
٤٢	—	« إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ مَائَةٍ .. »
١٥٥ ، ٦١	بريدة	« أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ .. »
١٥٥ ، ٦٢	ابن عباس	« أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ .. »
٦٢	—	« أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتْ فِي الْبَحْرِ فَنَذَرَتْ .. »
٣٦ ، ٦٢ ، ١٣٥ ، ١٥٥	ابن عباس	« أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أُمِّي .. »
١٥٦	—	« أَنَّ امْرَأَةً مِنْ مُجَهِّتَةٍ جَاءَتْ .. »
١٥٦	ابن عباس	« إِنَّ أَمَرَ النَّاسِ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ .. »
١٠٩	—	« إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ .. »
١٢٧	جابر	« أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ .. »
١٥٣	—	« أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أَبِي مَاتَ .. »
١٥٢	أبو هريرة	« أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي افْتَلَتْ .. »
١٥٢	عائشة	« أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي تُؤَفِّتُ .. »
١٥٢	ابن عباس	« إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْصَانِي أَنْ أَصْحِي عَنْهُ .. »
٥٢ ، ٨٨	علي	« أَنَّ سَعْدًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ أُمِّي افْتَلَتْ .. »
٣٩ ، ١٣٤	عائشة	« إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَلْقَوْنِي .. »
١٤٢	—	« إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .. »
٤٨	ابن مسعود	« إِنَّ مِنْ أَمَرِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ .. »
٤٧	أوس بن أوس	« إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ لِهَمَا .. »
١٠٨	أبو سعيد	« أَنَّ مِنْ دَعَا لِأَخِيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ بِدَعْوَةٍ .. »
٣١ ، ١٥٣	—	« إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ .. »
٥٦	—	« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِزْرًا .. »
١١٤	—	« أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيْلِكَ .. »
١١٣	—	« انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ .. »
٦٣	—	
١٥٨	—	

- ٧٤ - « إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » .
 ٢٩ أبي بن كعب « إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ .. »
 ٧٠ - « إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِي أَحَدًا وَلَا أَمْتُنِعُ أَحَدًا .. »

(ت)

- ٥٥ أبي بن كعب « تَكْفِي هَمَّكَ وَيَغْفِر ذَنْبَكَ »

(ث)

- ٤٦ ابن مسعود « ثُمَّ سَلَّ ثَغْفَهُ »
 ٤٤ ابن عمرو « ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ .. »

(خ)

- ١٢٨ أبو هريرة « خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ .. »

(ر)

- ٥٢ - « رَأَيْتُ عَلَيْهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَحِّحِي بِكَبْشَيْنِ .. »

(ص)

- ٦٢ - « صُومِي عَنْهَا » .
 ٦٢ - « صَامَ عَنْهُ وَلِيِّهِ » .

(ع)

- ١١٧ - « عَلَيْنَاكُمْ بِسُنِّي وَمُتَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ .. »

(ف)

- ١٠٧ أنس « فَأَذْهَبَ إِلَى رَبِّي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي خَرَزَتْ .. »

« فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ » .

(ق)

١٥٣ ، ٥٧

« قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : الْحَدِيثُ الَّذِي .. »

(ل)

١٠٣

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .. »

١١٤ ، ٤٦

« لَا تَجْعَلُوا يَتِيمَتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَتَّخِذُوا قُبُورِي .. »

١١٥ ، ١١٤

« لَتَزَكَّيَنَّ شَيْئًا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خُذُوا الْقُدَّةَ .. »

١١٤

« لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ .. »

٧٦

ابن مسعود

« لَا تُقْتَلْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ .. »

١٣٧

عمر

« لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ » .

١١٤

« لَعَنَّ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ .. »

٧٥

« لَوْ أَنَّ لِي مِثْلًا لِفُلَانٍ لَفَعَلْتُ فِيهِ مِثْلًا فَعَلْتُ » .

١٥٣ ، ٥٩

« لَوْ كَانَ مُسْلِمًا فَأَغْتَنَّمْتُ عَنْهُ أَوْ .. »

(م)

١٦٠

« مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ دَعْوَةً إِلَّا وَكَّلَ .. »

٤٨

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ .. »

١٥٩

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ .. »

٨٠ ، ٤٢

« مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْقَيْبِ .. »

١٣٩

« مَرَّ بِعَلِيٍّ ، وَهُوَ يَدْعُو فَقَالَ : يَا عَلِيُّ .. »

٨١

ابن عمر

« مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَغْرُوفًا فَكَأَيْفَهُ .. »

١٢٥ ، ٤٩

أبو هريرة

« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ .. »

٥٠

جرير

« مَنْ سَنَّ شَيْئًا حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا .. »

٤٢

« مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ » .

٨٢ ، ٨٠ ، ٤٤

أبو هريرة

« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا » .

- « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .. » ١٣٧ —
 « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ . » ١١٦ —
 « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُشْتَاتًا فَلْيَسْتَنْ بِمَنْ قَدْ مَاتَ .. » ١٢٨ ابن مسعود^(٥)
 « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ . » ٣٤ ، ٣٠ ، عائشة
 ١٥٤
 « مَنْ تَفَقَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا .. » ٨٠ —

(ه)

- « هُمَا فِي الرَّزْرِ سَوَاءٌ » ٥٥ —

(و)

- « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ .. » ٩٨ صهيب
 « وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ .. » ٥٦ أبو هريرة

(ي)

- « يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضُرُونِي .. » ٩٥ أبو ذر
 « يَا عِبَادِيَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا .. » ٩٥ —
 « يَا مَعَاذَ أَتَذَرُنِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ .. » ١٠١ —
 « يَا مَعْشَرَ الْقَرَاءِ ! اسْتَقِيمُوا وَتَحَذُوا طَرِيقَ .. » ١٢٨ حذيفة^(٥)



٣- فهرس الموضوعات

٥ مقدمة التحقيق
٧ وأما تحقيق نسبة الكتاب للمؤلف
٨ وصف النسخ الخطية
١٠ وأما عملنا في تحقيق الكتاب
١٣ صور المخطوطات
٢٧ النص المحقق لكتاب « رسالة في إهداء الثواب للنبي ﷺ »
٢٩ نص السؤال الموجه لشيخ الإسلام
٣٣	اتفاق الأئمة علي إهداء العبادات المالية وتنازعهم في العبادات البدنية
٣٤	رد من سوى بين العبادات علي من فرق بينهما من وجهين
٣٤	الوجه الأول : النيابة في العبادات البدنية تجوز للحاجة
٣٥ الأقوال في الصوم عن الميت
٣٦ الفرق بين الفرض والنذر
٣٧ الوجه الثاني : إهداء الثواب تبرع
٣٨ الاحتجاج بقوله ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وبيان ما فيه
٣٩ ما اتفق عليه المسلمون في هذا الباب

- ٤٠ أجوبة متنوعة في الآية والرد عليها
- ٤٢ الدعاء لغيره
- ٤٢ الصلاة على الميت
- ٤٤ الصدقة عن الميت
- ٤٤ الصلاة على النبي وطلب الوسيلة
- ٤٤ الأصل الذي ينبني عليه فعل القُرب
- ٤٤ دليل متكلف غير شرعي
- ٤٦ سنن أربع أمر بها عند استماع الأذان
- ٤٨ الصلاة والسلام على النبي ﷺ من باب الدعاء
- ٤٩ دعاء الملائكة للمؤمنين
- ٥٠ سؤال وجبه
- ٥١ خلاصة الكلام في مسألة إهداء الثواب للنبي ﷺ
- ٥٢ رد الاحتجاج بتضحية علي عن النبي ﷺ
- ٥٤ رد الاحتجاج بحديث أبي ابن كعب رضي الله عنه
- ٥٥ مُراد من جوز إهداء العبادات البدنية
- ٥٥ تفسير الصلاة في حديث أبي بالدعاء
- ٥٧ رد الاحتجاج بحديث البر بعد البر أن تصلي لأبويك
- ٥٩ رد احتجاج بعض المتأخرين

- ٦٠ السنة صيام الولي صوم النذر
- ٦٣ شرح حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
- ٦٥ استدلال ضعيف على مسألة الإهداء للنبي ﷺ
- ٦٦ الأمر الديني الشرعي هو الفارق بين أوليائه وأعدائه
- ٦٧ لفظ العبد وماذا يراد به
- ٦٩ الإضافة العامة والإضافة الخاصة
- ٧١ الرزق وماذا يراد به في القرآن ؟
- ٧٢ اعتراض والجواب عنه من وجهين
- ٧٣ الاحتجاج بأحاديث الهـم
- ٧٧ الجواب الثاني من الوجه الثاني
- ٧٧ إهداء هذا الثواب إن جُوزَ لزم التسلسل
- ٧٨ تضحية علي عن النبي ﷺ كانت بإذنه ﷺ
- ٨٤ الفرق بين حق النبي ﷺ وخلفائه في دعوته وحقوق الآباء
- ٨٧ قول القائل حَقُّ النَّبِيِّ ﷺ أَوْجَبَ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ
- ٩١ الرد على أهل الإلحاد أصحاب وحدة الوجود
- ٩٢ الفرق بين من عبد الله بقدرته ومشيتته ومن عبده وحده لا يشرك به شيئاً
- ٩٣ الفرق بين الإرادة الكونية والدينية
- ٩٤ الفرق بين التقرب إلى الله وطاعة المخلوق المملوك لمالكه

- ٩٤ الوجه الأول
- ٩٩ الوجه الثاني
- ٩٩ مُعاملة المخلوق للمخلوق فيها مُعَاوَضَةٌ من الطرفين
- ١٠٠ الوجه الثالث
- ١٠٠ الحاجة والفقر للمخلوق وصف لازم
- ١٠١ العبادة حق الله تعالى
- ١٠٢ الدُّعاء يكون من الأعلى للأدنى ومن الأدنى للأعلى
- ١٠٤ الخالق ليس محتاجاً إلى المخلوق بوجه من الوجوه
- ١٠٤ خطأ من جعل التقرب إلى الله بمنزلة التقرب إلى المخلوق
- ١٠٦ من كانت عبوديته لله أكمل كان عند الله أفضل
- ١٠٨ خطأ من جعل إهداء الهدية إلى النبي ﷺ بمنزلة الهدية إلى الله
- ١٠٩ من مناقب أبي بكر الصديق
- ١١٠ الأعمال لا تعمل إلا لله ولا يطلب أجرها إلا منه
- ١١٢ إنزال المخلوق بعد موته منزلة الخالق ضلال مبين
- ١١٤ إشراك النصارى وغلوهم وابتداعهم
- ١١٦ الشبه بين النصارى وبين من يهدي العبادات للمخلوق
- ١١٦ أما إشراكهم
- ١١٦ أما ابتداعهم

- ١١٧ أما غلوهم
- ١٢٠ أصل الإسلام مبني على أصليين
- ١٢١ مبتدعو إهداء العبادات إلى النبي يجتمع فيهم الإشراك والغلو والبدعة ...

مَسَائِلُ فِي إِهْدَاءِ الْقُرْبَاتِ لِلْأَمْوَاتِ

- مسألة (١) رجل قرأ القرآن وقال هذا هدية مني للنبي ﷺ فهل يجوز هذا أم لا ؟ ١٢٥
- السؤال الموجه لشيخ الإسلام ١٢٥
- الجواب المختصر في مسألة الإهداء للنبي ﷺ ١٢٥
- مسألة (٢) فيمن يقرأ القرآن هل الأفضل أن يهدي ثوابه لوالديه ولموتى المسلمين ؟ ١٢٧
- أفضل العبادات ما وافق هدي النبي ﷺ والسابقين ١٢٧
- الأمر باتباع سبيل الصحابة ١٢٨
- الإخلاص والصواب ١٢٩
- الإخلاص في القرآن ١٣٠
- ذم من دان بغير شرع الله تعالى ١٣٠
- طريقة السلف في هذا الباب ١٣١
- تلخيص مذاهب العلماء في مسائل إهداء القربات للأموات ١٣٢

- ١٣٣ فهم خاطئ لقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾
- ١٣٣ القول الفصل هو التزام هدي السلف في هذا الباب
- مسألة (٣) رجل كلما ختم القرآن يقول : اللهم اجعل ثواب ما قرأته
- ١٣٤ هدية مني إلى جميع أهل الأرض
- ١٣٤ اتفاق العلماء على وصول العبادات المالية كالصدقة
- ١٣٥ نزاع العلماء في وصول العبادات البدنية
- ١٣٨ الاقتداء بالصحابة وتابعيهم أولى
- ١٤١ مسألة (٤) في عمل طعام في الختم هل هو جائز ؟
- ١٤٢ الصدقة عن الميت تصل إليه
- ١٤٣ حكم من استجار من يقرأ ويهدي

سَيِّئَاتِي قَوْلِي تَعَالَى : وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى

- ١٤٩ المعنى الصحيح للآية والحديث
- ١٥٠ دعاء الملائكة للمؤمنين
- ١٥٠ استغفار الرسل للمؤمنين
- ١٥١ من السنن المتواترة : الصلاة على الميت والدعاء له
- ١٥١ شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة
- ١٥٢ الأحاديث الصحيحة في هذا الباب

١٥٥ رفع الملام عن الأئمة الأعلام
١٥٧ لا تنافي بين الآية والحديث
١٥٨ أجوبة الناس عن الآية وبيان الصحيح
١٦٠ ليس كل ما ينتفع به الميت أو الحي يكون من سعيه
١٦١ الفهارس العامة للكتاب
١٦٣ فهرس الآيات
١٧٢ فهرس الأحاديث والآثار
١٧٧ فهرس الموضوعات



